

# الفصل الأول

## مدينة يثرب والهجرة

التمهيد للهجرة :-

ابتدأ الرسول الكريم محمد (ﷺ) دعوته للإسلام سراً ، حيث كان لا يظهرها إلا لمن يثق به ، ثم أمره (ﷺ) بالجهر بدعوته بعد ثلاث سنين<sup>(١)</sup> كما جاء في قوله تعالى : **فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِنْ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**<sup>(٢)</sup> .

فيبدأ الرسول بإعلان دعوته ، واشتدت خصومته مع قومه فصبوا جام غضبهم على أتباع هذه الدعوة ، وأذوهم أいでاً شديداً ، فطلب منهم الرسول (ﷺ) قائلاً : **(لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحِبْشَةِ فَإِنْ بَهَا مَلْكًا لَا يَظْلِمُ عَنْهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضُ صَدْقٍ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرْجًا)**<sup>(٣)</sup> ، فكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة في السنة الخامسة منبعثة<sup>(٤)</sup> ، وبقي هو في مكة يدعوا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، لهذا لجأت قريش إلى أسلوب جديد ، وهو أسلوب الضغط علىبني عبد المطلب ، فقررت مقاطعتهم وعزلهم في شعب أبي طالب ، وذلك لمنعهم من حماية الرسول (ﷺ) والتخلص من نصرته ، إلا انه استمر في دعوته وفشلت المقاطعة<sup>(٥)</sup> ، وتکالبت المحن على الرسول محمد (ﷺ) خاصة بعد فقده أكبر سنداته في الحياة ، عمه أبو طالب وزوجته السيدة خديجة ، فكبرت المصيبة على الرسول الكريم (ﷺ) وازداد أذى قريش للرسول وللمسلمين<sup>(٦)</sup> .

<sup>١</sup> (?) ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، (ت-630هـ) ، الكامل في التاريخ ، المطبعة المنيرية ، (دمشق-1349هـ) ، ج 2 ، ص 40 .

<sup>2</sup> (?) سورة الحجر ، الآية 94 .

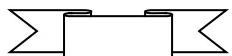
<sup>3</sup> (?) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام ابن أبيوب الحميري ، (ت-213هـ) ، سيرة ابن هشام ،

ط 2 ، تحقيق: مصطفى السقا وأخرون ، مؤسسة علوم القرآن ، (دمشق - د.ت) ، ق 1 ، ص 321 .

<sup>4</sup> (?) شرف ، محمد جلال ، الفكر السياسي في الإسلام ، دار الجامعات المصرية ، (مصر-1978) ، ص 52 .

<sup>5</sup> (?) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت-310هـ) ، تاريخ الطبرى ، (تاريخ الرسل والملوك) ، ط 5 ، تحقيق: محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، (القاهرة- د.ت) ، ج 2 ، ص 334-335 .

<sup>6</sup> (1) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/415 .



وبعد فشل كل الطرق التي استخدمها الرسول الكريم في إقناع قريش على قبول الدعوة<sup>(١)</sup>، فكر بإيجاد أرضية جديدة صالحة لنشر الدعوة تكون خارج مكة لعلها تكون ملادةً أكثر أماناً لدعوته الجديدة ، فخرج إلى الطائف وهي لا تبعد أكثر من اثنا عشر فرسخاً من مكة وفي الجنوب الشرقي منها<sup>(٢)</sup>، وقد رده أهلها رداً قبيحاً وأغروا به سفهاءهم وعيدهم ، يسبونه ويصيرون به<sup>(٣)</sup> ، وذلك لترابط المصالح بين قريش مكة وثقيف الطائف ، فزادوا من ألمه ، ولكنه عاد إلى مكة وهو أكثر تصميماً على متابعة الدعوة .

وكان من عادة الرسول (ﷺ) في كل موسم من مواسم الحج عرض دعوته على القبائل الوافدة للحج والتجارة ، إلا انه لم يتمكن من إقناع هذه القبائل<sup>(٤)</sup> ، وكان أول اتصال لأهل يثرب بالرسول (ﷺ) أثناء أحد المواسم ، فعرض دعوته على جماعة من أهل المدينة وفيهم سعيد بن الصامت<sup>(\*)</sup> الذي كان يُعرف بالكامل لنسبه وجلدته وشعره ، وهو أحد الرجال البارزين في المدينة ، قد عاه رسول الله (ﷺ) للإسلام فأجاب وامن بالدعوة<sup>(٥)</sup> ، ومن يثرب قدم أيضاً أبو الحسير انس بن رافع جاء إلى مكة ومعه فتية من بني عبد الاشهل<sup>(\*)</sup> ، منهم إياس بن معاذ يرجون الحلف من قريش

<sup>١</sup> (? ) المصدرو نفسه ، ق 415-419 .

<sup>٢</sup> (? ) ابن عساكر ، علي بن هبة الله ، (ت-571هـ) ، معجم البلدان ، تحقيق: جمعية الماجد ودار الفكر المعاصر ، (بيروت-1413هـ) ، ج 4 ، ص 8-9 .

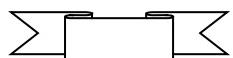
<sup>٣</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 419 ؛ الطبرى ، تاريخ ، 2/345 .

<sup>٤</sup> (? ) ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار ، (ت-151هـ) ، سيرة ابن إسحاق ، تحقيق: محمد حميد الله ، معهد الدراسات للأبحاث والتعریف ، (د.م- د.ت) ، ج 4 ، ص 215 ؛ السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، (ت-581هـ) ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام ، ط 1 ، تحقيق: مجدي منصور الشوري ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - 1997) ، ج 2 ، ص 240 .

<sup>\*</sup> (\*) سعيد بن الصامت : ابن الصلت بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس . ينظر: ابن عبد البر ، يوسف بن عبد البر النميري ، (ت-463هـ) ، الدرر في اختصار المغارى والسير ، تحقيق: شوقي ضيف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، (القاهرة - 1966) ، ص 70 .

<sup>٥</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 427 .

<sup>\*</sup> (\*) بنو عبد الاشهل : وهم يطن من بطون الخزرج من جشم بن الحارت ، ومنهم سعد بن معاذ . ينظر: ابن الكلبى ، أبو منذر هشام بن محمد بن السائب ، (ت-204هـ) ، جمهرة النسب ، ط 1 ، تحقيق: ناجي حسن ، عالم الكتب ، (بيروت-1986) ، ص 633 .



على قومهم من الخزرج<sup>(1)</sup> ، ولكنهم لم يستجيبوا لدعوته ، لأنهم على حد قولهم (جئنا لغير هذا الأمر)<sup>(2)</sup> .

## بيعة العقبة الأولى : 621 م :

استمر اتصال الرسول (ﷺ) بالقبائل ودعوتهم للإسلام دون أن يثنيه أو يحيط من عزمه عدم استجابة هذه القبائل لدعوته ، ومن تحرير قريش لهم في مواسم الحج المختلفة .

وكان الوحي يصيّر ويشد من عزمه كما في قوله تعالى :

**إِفَاضُّكُمْ كَمَا صَبَرَ أَوْلَوْا الْعَزْمَ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرْفَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بِلَاغٍ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣﴾**

وشاء الله أن يتم نوره وفيه بوعده لرسوله الكريم محمد (ﷺ) ، بهذه مرحلة جديدة ومهمة من مراحل الدعوة الإسلامية ، عندما التقى الرسول عند العقبة<sup>(\*\*)</sup> في أحد مواسم الحج برهط من الخزرج ، وقد عرض عليهم الإسلام فاستجابوا له ووعدوه بنصرته<sup>(4)</sup> وقالوا : (إِنَا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمٌ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ ، وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْمِعَهُمْ بِكَ) <sup>(5)</sup>

واختلفت المصادر في عدد أفراد هذا الرهط من الخزرج ، بين ستة نفر<sup>(6)</sup> ، وبين ثمانية نفر<sup>(7)</sup> وغادروا إلى المدينة ، فحدثوا قومهم بما سمعوا وأمنوا به ودعوهم إلى الإسلام ، حتى انتشر فيهم الإسلام انتشاراً سريعاً ، حتى إذا كان الموسم القادم أي السنة الحادية عشرة قدم وفداً من أهل المدينة وكان

<sup>1</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 427 / 1 ؛ الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ، (ت-310هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، (بيروت-1405هـ) ، ج 2 ، ص 381 .

<sup>2</sup> (?) ابن عبد البر ، الدرر ، ص 70 .

<sup>3</sup> (?) سورة الأحقاف ، الآية 35 .

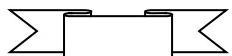
<sup>4</sup>\* العقبة : موضع على يسار الطريق القاصد منى إلى مكة . ينظر : ابن عبد البر ، الدرر ، ص 72 .

<sup>5</sup> (?) الطبرى ، تاريخ ، 2/354 .

<sup>6</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 429 / 1 .

<sup>7</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 429 / 1 ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو (ت-774هـ) ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، (مصر-1932) ، ج 3 ، ص 149 .

<sup>7</sup> (?) ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد ، (ت-230هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت-1960) ، ج 1 ، ص 218 .



اثنان منهم من الاوس والبقية من قبيلة الخزرج<sup>(1)</sup> ، ويدرك أن عبادة بن الصامت<sup>(\*)</sup> كان فيمن حضر العقبة الأولى قال : (فبایعنا رسول الله (ﷺ) بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ، ولا نرني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتان نفتر به بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في مكروه ..)<sup>(2)</sup>

وقد وردت بنود بيعة العقبة في القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى :

**إِنَّمَا أَيْمَانُهَا النَّيُّ إِذَا حَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَرْبِّنَ وَلَا يَغْتَلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(3)</sup>**

ويبدو أن المعنى الظاهر للآلية واستخدام نون النسوة بيعة خاصة بالنساء لهذا سميت (بيعت النساء) ولكنها في الحقيقة بيعة عامة شملت النساء والرجال وكما ذكرنا من خلال مقوله عبادة بن الصامت ، ويدرك إنها ربما سميت بيعة النساء لوجود عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بها ، وهي أول امرأة بايعت الرسول (ﷺ) ، فاعتبرت ممثلة عن المؤمنات .

ويبدو أن هذا الانتشار السريع للإسلام في يثرب كان لعدة أسباب منها : مجاورة العرب لليهود ، واليهود أصحاب كتاب وكانوا يسمعون منهم عن النبي المنتظر الذي يهددون العرب به قائلين : (إن نبياً يبعث الآن تبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود)<sup>(4)</sup> ، وكذلك سمع العرب من اليهود الكثير من الأمور بشأن الدين والتوحيد وعبادة الله وحده ، فولد ذلك استعداداً كبيراً لدى عرب

<sup>1</sup>) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/433 .

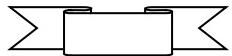
\* (\*) عبادة بن الصامت : بن قيس من الخزرج ويكتن أبو الوليد وكان أحد النقباء الائثنى عشر في بيعة العقبة ، وشهد بدر والمشاهد كلها ، وتوفي في الرملة من الشام سنة أربع وثلاثين . ينظر : ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، (ت-276هـ) ، المعارف ، تحقيق: ثروت عكاشه ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة - 1960) ، ص 255 .

<sup>2</sup>) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/433 ، الطبرى ، تاريخ ، 2/355 ؛ الطبرى ، تفسير ، 28/28 ، 77-81 .

<sup>3</sup>) سورة الممتننة ، الآية 12 ، وسنذكر شرحها لاحقاً .

<sup>4</sup>) العساف ، الشيخ احمد محمد ، خلاصة الاثر في سيرة سيد البشر ، ط1 ، دار إحياء العلوم ، (بيروت-1978) ، ص 75 .

<sup>5</sup>) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 2/67 .



يشرب عند سماعهم بنبي عربي يحدّثهم بلسانهم ، وبالمنطق والعقل ويدعوهم الى عبادة الله واحد وترك عبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع ، وكذلك ما أبداه الرهط من حماسة في أجابتهم لرسول الله الى الإسلام ، وأيضاً ما أبداه أهل يشرب من الاوس والخرج من تفهم واستعداد لقبول الدعوة لأنهم لا يملكون تلك المصالح الاقتصادية والسياسية المرتبطة بعبادة الأصنام بل العكس ، حيث كانت مصلحتهم في هذه الدعوة التي تدعوا الى توحيد القلوب على محبة الله ونبذ الشرك وترك الصراعات والحروب التي كان آخرها يوم بعاث آخر حرب بين الاوس والخرج والتي أفنت الكثير من الطرفين فلذلك كانوا يتطلعون الى شخصية عادلة ومحايده من خارج يشرب تعمل على توحيدهم وعلى حل مشاكلهم ، وبعد انتهاء الموسم أرسل النبي (ﷺ) مع الرهط المبائع في بيعة العقبة الأولى مصعب بن عمير<sup>(\*)</sup> وأمره أن يقرء لهم القرآن ويفقههم في الدين ، وكان منزل مصعب بن عمير قد تحول نزوله إلى دار سعد بن معاذ<sup>(\*)</sup>.

### بيعة العقبة الثانية :

ما إن حل موسم الحج التالي لبيعة العقبة الأولى أي السنة الثانية عشر للبعثة النبوية والمواقف 622م ، وبعد انتشار الإسلام في يشرب توجه وفد آخر من أهل يشرب يبلغ ثلاثة وسبعين<sup>(\*\*)</sup> من الذين أسلموا في يشرب ومعهم مصعب بن عمير

(\*) مصعب بن عمير: بن عبد مناف بن قصي القرشي العبدري ، يكنى أبا عبد الله ، وكان قبل الإسلام فتى مكة شباباً وحملأً ، وكان قد بعثه رسول الله (ﷺ) الى المدينة قبل الهجرة ليقرئهم القرآن ، وهو أول من قدم عليهم من المهاجرين ، قتل يوم أحد شهيداً ، وكان يدعى القارئ المقرئ . ينظر : ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد ، (ت 463هـ) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد الجاوى ، دار الجيل ، (بيروت-1412هـ) ، ج 1 ، ص 81 .

(\*\*) سعد بن معاذ : ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل السيد الكبير الشهيد الاوسي الانصاري ، وكان لإسلامه دور كبير في إسلامبني عبد الاشهل ، وقد شهد بدرأ ورمي يوم الخندق فعاش شهراً ثم مات . ينظر: الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ) ، سير أعلام النبلاء ، ط 9 ، تحقيق: شعيب الارناؤوط ، (بيروت-1413هـ) ج 1 ، ص 279 .

(\*\*) يوجد اختلاف في الروايات في عدد المشاركيين في البيعة ، فابن هشام ذكر عددهم (ثلاث وسبعون) رجلاً ومعهم امرأتان . ينظر: السيرة ، ق 1/441؛ ابن سعد والطبرى فيذكران عددهم (سبعون) رجلاً ومعهم امرأتان . ينظر: الطبقات ، 1/224 ، وينظر ، تاريخ الطبرى ، 2/362 .



الى مكة لأداء فريضة الحج ولدعوة الرسول للهجرة الى يثرب خوفاً وحرضاً عليه من أذى واضطهاد مشركي قريش . وفي أواسط أيام التشريق وواعدوا رسول الله بلقائه في الشعب عند العقبة في المكان نفسه الذي بايع فيه أصحابهم في العام السابق ، بيعة العقبة الأولى<sup>(1)</sup> ، ولما اجتمعوا في العقبة شيئاً فشيئاً تكلم رسول الله (ﷺ) فتلا القرآن ودعا الى الله ورغم في الإسلام وخاطب المبايعين قائلاً : **(أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)<sup>(2)</sup>** .

ورد عليه البراء بن معروف وهو من سادة وفد يثرب قائلاً : **(والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه أزرتنا فباعينا يا رسول الله فتحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورشاها كابرًا عن كابر)<sup>(3)</sup>** ، ثم بايعه الجميع ، وطلب منهم رسول الله (ﷺ) قائلاً : **(إن موسى أخذ منبني إسرائيل اثنى عشر نقيباً فلا يجدن منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره فإنما يختار لي جبريل)<sup>(4)</sup>** فلما تخيرهم قال للنقباء : انتم كفلاء على قومكم ككافالة الحواريين لعيسي ابن مرريم ، وقال الرسول (ﷺ) : **(وأنا كفيل قومي)** .

ويذكر الطبرى<sup>(5)</sup> ، أن عدد النقباء اثنا عشر نقيباً ، تسعه من الخرج وثلاثة من الاوسن ، وسميت هذه البيعة **(بيعة الحرب)** كما أوردت الروايات ، إن العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري اخو بنى سالم خاطب قومه قائلاً : **(يا معاشر**

**الخرج ، هل تدرؤن علام تباعيون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس)<sup>(6)</sup>.**

وقد صور لنا القرآن الكريم هذه البيعة تصويراً بلاغياً وفينيّاً رائعاً في قوله تعالى : **إِنَّمَا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عَيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيْنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيْنَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ**

<sup>1</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/441 ; المقرىزى ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت 845هـ) ، إمتعة الأسماع ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة-1941) ، ج 1 ، ص 34 .

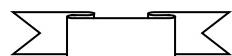
<sup>2</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/441 .

<sup>3</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/442 ; المقرىزى ، إمتعة الأسماع ، 1/34 .

<sup>4</sup> (?) ابن سعد ، الطبقات ، 1/223 ; ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3/112 .

<sup>5</sup> (?) تاريخ ، 2/363 .

<sup>6</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/443 .



**بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرُتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى  
عَدُوّهُمْ فَأَضْبَخُوا طَاهِرِينَ<sup>(1)</sup>**

وقد أطلق على هؤلاء المبايعين من الاوس والخرج بالأنصار ، وكانوا يفخرون على القبائل إن الله سماهم في كتابه العزيز دون غيرهم<sup>(2)</sup>.

وتمثل بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية خاصة حجر الزاویه في بناء الدولة الإسلامية وسلطتها في المدينة فيما بعد .

### **هجرة المكيين - هجرة الرسول<sup>(3)</sup> :**

بعد أن توثق رسول الله<sup>(4)</sup> من صدق الأنصار ونصرتهم بدأ يحيث المسلمين على الهجرة إلى المدينة ، ورجع الوفد المبايع من الأنصار إلى المدينة معلنين إسلامهم ، وانتشر الإسلام بشكل كبير في المدينة ، ولم يبق إلا القليل من الذين لم يؤمنوا في المدينة ، وبعد تشديد وتضييق أهل مكة على المسلمين ومحاولت فتنهم عن دينهم بشتى الوسائل وخاصة بعد أن علمت قريش بأمر البيعة ، وشكى المسلمين ذلك إلى الرسول<sup>(5)</sup> فأخبرهم بأني : (قد

**رأيت دار هجرتكم بسبحة ذات نخل بين لابتين وهما  
الحرتان . ثم مكت أياماً ثم اخبرهم مسروراً : قد أخبرت**

**دار هجرتكم وهي يثرب ، فمن أراد الخروج فليخرج  
إليها<sup>(3)</sup> ، ويضيف الطبری<sup>(4)</sup> ، أن رسول الله<sup>(5)</sup> اخبر المسلمين  
 قائلاً : (إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون  
فيها) ، فخرج المسلمين أرسلاً أفراداً وجماعات مهاجرين إلى  
الله والى المدينة في أواخر ذي الحجة من السنة الثالثة عشرة  
منبعثة ، ولم يبق في مكة من المسلمين إلا من حبس أو فتن  
إلا على بن أبي طالب<sup>(6)</sup> وأبو بكر الصديق<sup>(7)</sup> بقيا مع رسول الله<sup>(8)</sup> ، وكان أبو بكر يلح على رسول الله بالهجرة فيقول له رسول  
الله<sup>(9)</sup> (لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً<sup>(5)</sup>).**

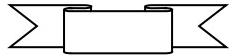
<sup>1</sup> (? ) سورة الصاف ، الآية 14 ؛ وينظر سورة آل عمران الآية 52 أيضاً قد جاءت بنفس المعنى .

<sup>2</sup> (?) الطبری ، تفسیره ، 28/92 ؛ القرطبی ، محمد بن احمد بن أبي بكر ، (ت 671ھ) ، الجامع لأحكام القرآن ، ط 2 ، تحقيق : احمد عبد العليم البردونی ، دار الشعب ، (القاهرة-1372ھ) ، ج 18 ، ص 89 .

<sup>3</sup> (?) ابن سعد ، الطبقات ، 1/226 ؛ الذهبی ، شمس الدین محمد بن احمد بن عثمان ، (ت 748ھ) ، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مکتبة الفدی ، (القاهرة-1367ھ) ، ج 1 ، ص 185 .

<sup>4</sup> (?) تاريخ ، 2/369 .

<sup>5</sup> (?) الطبری ، تاريخ ، 2/369 ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 2/71 .



فَلَمَّا رَأَتْ قَرِيشَ هُجْرَةَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَانْتِشَارَ  
الإِسْلَامِ فِيهَا ، خَشِوا هَذَا الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ وَخَاصَّةً أَنَّ الْمَدِينَةَ تَقْعِدُ عَلَى  
طَرِيقِ قَوَافِلِهِمُ التِّجَارِيَّةِ الْذَاهِبَةِ إِلَى الشَّامِ<sup>(1)</sup> ، فَاجْتَمَعُوا يَتَآمِرُونَ  
عَلَى الرَّسُولِ<sup>(2)</sup> فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، وَاجْمَعُوا عَلَى قُتْلِهِ وَانْ يَقُولَ  
بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ شَابٌ مِّنْ عَدْدِ عَشَائِرِ ، فَيَضْرِبُوهُ بِسَيْوَفِهِمْ صَرِيَّةً  
رَجُلٌ وَاحِدٌ فَيَتَفَرَّقُ دَمُهُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ فَلَا يَسْتَطِعُ بَنُو هَاشِمَ الْمَطَالِبَ  
بِدَمِهِ .

وَلَقَدْ وَصَفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذَا التَّآمِرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ  
يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرُجُوكَ  
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ حَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(2)</sup> وَلَمَّا أَنْبَأَ<sup>(3)</sup>  
رَسُولُهُ الْكَرِيمُ بِالْمَؤَامَرَةِ طَلَبَ مِنْ صَاحِبِهِ أَنْ يَسْتَعِدْ لِلْهُجْرَةِ  
وَاسْتَأْجَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَرِيقَطَ دَلِيلًا لَّهُمَا فِي رَحْلَتِهِمَا ، فَلَمَّا دَخَلَا غَارَ  
حَرَاءَ يَقَالُ إِنَّ الْعُنْكَبُوتَ قَدْ سَدَّتْ عَلَى بَابِ الْغَارِ وَانْ حَمَّامَتِينَ  
عَشَعَشَتَا عَلَى بَابِهِ<sup>(3)</sup> ، وَبَكَى أَبُو بَكْرٍ لِشَدَّةِ حُرْصَتِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  
حِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ : لَوْ أَنْ احْدَى نُظُرِ مَوْضِعِ قَدْمِيِّهِ لَرَأَانَا ،  
فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ<sup>(4)</sup> مَا ظَنَكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهِ ثَالِثَهُما<sup>(4)</sup> .

وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْحَوْارَةُ<sup>5</sup> فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ  
نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي  
الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ  
سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَهُ كَلِمَةَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلَيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ  
حَكِيمٌ﴾<sup>(5)</sup>.

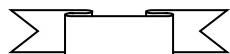
<sup>1</sup> (?) الْذَّهَبِيُّ ، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ ، 5/18 ; السَّخَاوِيُّ ، شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ  
اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، (ت 902هـ) ، التَّحْفَةُ الْلَّطِيفَةُ فِي تَارِيخِ  
الْمَدِينَةِ الْشَّرِيفَةِ ، دَارُ الْكِتَبِ الْعُلُومِيةِ ،  
(بَيْرُوت - 1993) ، ج 1 ، ص 12 .

<sup>2</sup> (?) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ، الآيَةُ 30 ، وَهِيَ مِنَ السُّورِ الْمَدِينَةِ مَا عَدَ الآيَةُ  
30 ، فَهِيَ مَكِيَّةٌ وَنَزَّلَتْ عَلَى الرَّسُولِ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْهُجْرَةِ . يَنْظَرُ  
الْقَرْطَبِيُّ ، تَفْسِيرُهُ ، 7/360 ; ابْنُ النَّدِيمِ ، أَبُو الْفَرْجِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقِ  
(ت 385هـ) الْفَهْرَسُ ، الْمَكْتَبَةُ التِّجَارِيَّةُ الْكَبِيرَى ، (الْقَاهِرَةُ - 1348هـ) ،  
ص 37 ; الزَّنجَانِيُّ ، تَارِيخُ الْقُرْآنِ ، ص 38 .

<sup>3</sup> (?) ابْنُ كَثِيرٍ ، عَمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرٍو ، (ت 774هـ) ،  
فَصُولُ مِنَ السِّيرَةِ ، ط 1 ، تَحْقِيقُهُ مُحَمَّدُ الْعَيْدُ ، (بَيْرُوت - 1399هـ) ، ص  
100 .

<sup>4</sup> (?) ابْنُ هَشَامَ ، السِّيرَةُ ، ق 484-1/492 ; ابْنُ حَبِيبٍ ، الْحَسَنُ بْنُ عَمْرٍ  
(ت 779هـ) ، الْمَقْتَفَى فِي سِيرَةِ الْمُصْطَفَى ، تَحْقِيقُهُ دُ. مُصْطَفَى  
مُحَمَّدُ الْذَّهَبِيُّ ، دَارُ الْحَدِيثِ ، (الْقَاهِرَةُ - 1996) ، ص 73 .

<sup>5</sup> (?) سُورَةُ التَّوْبَةِ ، الآيَةُ 40 .



وقد وردت عدة آيات تشير إلى المعنى أعلاه ، كما في قوله تعالى : **﴿وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَحَاوُفُونَ أَنْ يَتَخَطَّفُوكُمُ النَّاسُ فَآوِا إِلَيْمَ وَأَيْدِكُمْ يَتَضَرِّرُهُ وَرَزَقْكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**<sup>(1)</sup> ، حيث كانوا بمكة قليلين مضطهدود يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر البلاد وخاصة من مشركي مكة الى أن أذن الله لهم في الهجرة فانعم عليهم فأواهم الى المدينة وحبب فيهم أهلها فأووهـم ، ونصرهم يوم بدر<sup>(2)</sup> ، ومن الآيات التي وردت فيها إشارة للهجرة : **﴿وَكَانُوا مِنْ قَرْيَةً هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾**<sup>(3)</sup> ، وخرج رسول الله ﷺ مع أبي بكر الصديق ﷺ من الغار يحفظ الله وعونه ، وكان أهل المدينة من الأنصار ينتظرون وصول الرسول ﷺ بفارغ الصبر بعد أن سمعوا بخروجه من مكة ، حتى وصل في يوم الاثنين لاثني ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة 13 منبعثة<sup>(4)</sup> .

وأصبح يوم دخول النبي إلى يثرب بداية تاريخ جديد لدولة المسلمين حين اختاره الخليفة عمر ﷺ كأعظم حدث في تاريخ الإسلام<sup>(5)</sup> .

### لمحة تاريخية عن مدينة يثرب :

تعـد يثـرب (**المـدـيـنـة**) من المـدنـ المـهـمـةـ عـنـ ظـهـورـ إـسـلـامـ ، وـتـعدـ منـ حـيـثـ الأـهـمـيـةـ ثـانـيـ مـدـنـ الحـجازـ بـعـدـ مـكـةـ<sup>(6)</sup> ، وـإـنـ كـانـتـ

<sup>1</sup> (? ) سورة الأنفال ، الآية : 26 .

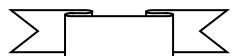
<sup>2</sup> (? ) ابن كثير ، عمـادـ الدـينـ أبوـ الفـداءـ إـسـمـاعـيلـ القرـيشـيـ ، (تـ774ـهـ) ، تـفـسـيرـ القرآنـ العـظـيمـ ، طـ4ـ ، مـطـبـعـةـ الـاستـقـاماـةـ ، (الـقاـهـرـةـ1956ـ) ، جـ2ـ ، صـ300ـ .

<sup>3</sup> (? ) سورة محمد ، الآية : 13 .

<sup>4</sup> (? ) الطـبـريـ ، تـارـيخـ ، 2/381ـ .

<sup>5</sup> (5) العـسـافـ ، خـلاـصـةـ الـأـثـرـ ، صـ95ـ .

<sup>6</sup> (? ) الشـرـيفـ ، اـحـمـدـ إـبـرـاهـيمـ ، مـكـةـ وـالـمـدـيـنـةـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ وـعـهـدـ الرـسـولـ ، طـ2ـ ، دـارـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ ،



الطائف تعد المدينة الثانية بعد مكة في الأهمية الدينية قبل الإسلام كما في قوله تعالى : **وَقَالُوا لَوْلَا نُرِّزَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنَ عَظِيمٍ**<sup>(1)</sup>.

وهي من المدن القديمة ولا يوجد تاريخ محدد لنشوئها ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد وقد ورد ذكرها في الكتابات المعينية والسبئية ، وتذكر الأخبار أن أقدم من سكن يثرب قوم يقال لهم (صُعل ، وفالح) ، ثم سكنتها العماليق<sup>(2)</sup> ، ثم نزحت إلى جوارهم بعض القبائل اليهودية والعربية والذين عرف منهم يقيناً عند ظهور الإسلام على شكل قبائل كبيرة ، وهم بنو قينقاع ، وبنو قريطة والنضير من اليهود والاوسم والخرج من العرب<sup>(3)</sup>. أما من حيث الموقع والمناخ فتعد يثرب ، إحدى أقسام الجزيرة الرئيسية ، فالبكري<sup>(4)</sup> مثلاً يقول:- إن جزيرة العرب هي المدينة ومكة واليماة واليمن .

تقع يثرب إلى الشمال من مكة على مسافة تقدر بحدود ثلاثة ميل

تقريباً<sup>(5)</sup> ، وهي تتوسط الطريق التجاري بين الشام واليمن ، ويدرك ياقوت الحموي<sup>(6)</sup> (**طول المدينة من جهة المغرب ستون درجة ونصف عرضها عشرون درجة** ، وهي في الإقليم الثاني وقدرها مقدار نصف مكة والغالب عليها السباح).

---

القاهرة - 1968 ، ص 19 .

<sup>1</sup> (?) سورة الزخرف ، الآية 31 ؛ والقريتان ، هما مكة والطائف ؛ القرطبي ، تفسير ، 18/83 .

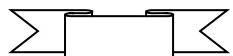
<sup>2</sup> (?) ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي ، (ت 626هـ) ، معجم البلدان ، دار راصد ، (بيروت-1977) ، ج 5 ، ص 84 ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، (بيروت وبغداد-1970) ، ج 4 ، ص 128 .

<sup>3</sup> (?) البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ، (ت 279هـ) ، انساب الأشراف ، تحقيق: د. محمد حميد الله ، مطبعة دار المعرف ، (مصر-1959) ، ج 10 ، ص 60 .

<sup>4</sup> (?) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي ، (ت 487هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواقع ، ط 3 ، تحقيق: مصطفى السقا ، (القاهرة-1949) ، ج 10 ، ص 5 .

<sup>5</sup> (?) الشريف ، مكة والمدينة ، 18 .

<sup>6</sup> (1) معجم البلدان ، 5/82 .



وتشغل المدينة مساحة من الأرض يبلغ طولها حوالي اثني عشر ميلاً وعرضها حوالي عشرة أميال ، وهي تقع بين جبل أحد شمالاً وجبل عير جنوباً<sup>(7)</sup> ،

وأرضها عبارة عن سهل واسع مكشوف من جميع الجهات بين حرتين<sup>(\*)</sup> بركانين هما حرة واقم في الشرق وحرة الوبرة في الغرب ، وهي أقل خصوبة وعمراناً من حرة واقم<sup>(2)</sup> ، وحديث الرسول (ﷺ) عن حرم المدينة دليل على ذلك فعن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال : **(حرّم ما بين لابتي المدينة على لساني)**<sup>(3)</sup> ، لابة : هي الحرة<sup>(4)</sup> ومن الحرات الكبيرة المحيطة بالمدينة حرة قباء تقع إلى الجنوب من

يشرب ، حيث تحيط الحرات بالمدينة من جميع الجهات ، وتحيط بالمدينة عدد من الجبال حيث يقع جبل أحد في شمالها ، وجبل عير في جنوبها الغربي وجبل سلع إلى الشمال الغربي منها ، وفيه النتوء الذي يعرف بجبل **(عيين)** وعليه كان موقف الرماة من المسلمين يوم أحد<sup>(5)</sup> ، وتحترق المدينة عدة أودية مهمة منها وادي بطحان ووادي رانواناء حيث يجريان بين قباء والمدينة ، حيث تقع قرية قباء في جنوب المدينة على بعد ميلين منها<sup>(6)</sup> وكذلك وادي العقيق الذي تجري فيه السيول المتأنية من موضع يقال له

7 ) الملاج ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة  
الراشدة ، مطبعة جامعة الموصل ،  
الموصل-1991 ، ص 33 .

\* (\*) الحرة : أرض ذات أحجار سود نخرة كأنها أحرقت بالنار وجمعها حرات ، والحرار في بلاد العرب كثيرة أكثرها حول المدينة إلى الشام وهي حرة سوران وليلي والنار وحرة بني سليم . ينظر: الحموي ، معجم البلدان ، 2 / 219 - 246 ( 2/250 ) .

2 ) السمهودي ، نور الدين علي بن احمد ، (ت 911هـ) ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، ط 1 ، تحقيق: محمد محي الدين ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت-1955) ، ج 4 ، ص 1182 - 1183 .

3 ) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، (ت 256هـ) ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، ط 3 ، (بيروت-1981) ، ج 2 ، ص 66 ، باب فضائل المدينة .

4 ) 0 ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/438 .

5 ) الشريف ، مكة والمدينة ، 227 .

6 ) الاصطخري ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد ، (ت 346هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن-1870) ، ص 23 .



(بطاویح) ووادي حمراء<sup>(1)</sup> ومن أعراض المدينة وأعمالها وعمارتها ، (طبية وبثرب وتيماء والفرع ووادي القرى)<sup>(2)</sup> . ومن المعالم والمواضع المعروفة في هذه المنطقة ، يثرب ودان والجار - بدر - الصفراء ، بنیع ، رضوى ، بواط ، خیر<sup>(3)</sup> ، وفي الحقيقة أن مدينة يثرب تتألف من مجموعة من القرى تقاربیت وتجمعت ف تكونت منها مدينة يثرب<sup>(4)</sup> . أما المناخ في يثرب ف شبیه بمناخ مکة ، فهو شدید الحرارة صيفاً وبارد شتاءً ، وتسقط الأمطار في أوقات قصيرة ولكنها بغزاره محدثة سیولاً في كثير من الأحيان<sup>(5)</sup> . وقد أشار القرآن الكريم إشارة ضمنية إلى شدة الحر في فیصل الصيف في يثرب ، في سورة النور الآية 59 : **لَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكُتُ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَنْلُغُوا الْخُلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصَبَّعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الطَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ . . .** ، والمراد بها قيلولة النهار والاستبراد من شدة الحر بالصيف بتخفيف الثياب<sup>(6)</sup> ، وسورة النور من السور المدنية التي نزلت على النبي<sup>(7)</sup> في المدينة ، وفي حديث عن أبي هريرة عن عبد الله بن عمر عن الرسول<sup>(8)</sup> قال : (ثم إذا اشتد الحر فابردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم) ، وعلى العموم فالمناخ في المدينة أفضل من مکة ، حيث تكثر فيها الآبار والعيون وشهرها بئر رومة وبئر عروة وبئر

<sup>1</sup> (?) ابن شبه ، أبو زيد عمر النميري البصري ، (ت 262هـ) ، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق: علي محمود بدن ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-1996) ، ج 1 ، ص 106 - 108 .

<sup>2</sup> (?) ابن خردابه ، أبو القاسم عبید الله بن عبد الله ، (ت 300هـ) ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، (بغداد-1889) ، ص 320 .

<sup>3</sup> (?) الهمданی ، الحسن بن احمد بن يعقوب بن داود ، (ت 334هـ) ، صفة حزيرة العرب ، تحقيق: محمد بن عبد الله النجدي ، مطبعة السعادة ، (مصر-1953) ، ص 219-220 .

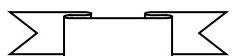
<sup>4</sup> (?) الشريف ، مکة والمدينة ، ص 294 .

<sup>5</sup> (?) ابن شبه ، تاريخ المدينة ، 1/108 .

<sup>6</sup> (?) الطبری ، تقسیر 162-165؛ دروزة ، محمد عزة ، عصر النبي وبيئته قبل البعثة ، مطبعة دار اليقظة العربية ، (دمشق-1946) ، ص 18 ، هامش الصفحة .

<sup>7</sup> (?) الزهری ، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب (ت 154هـ) ، تنزیل القرآن ، ط 2 ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الحديث ، (بيروت-1980) ، ص 29 .

<sup>8</sup> (?) البخاری ، صحيح ، 1/151 .



الحفيـر والجـير<sup>(1)</sup> ، وتمـيزت أـرض يـثرب بـالخـصـوبـة بـسـبـب تـربـتها  
الـبرـكـانـيـة الخـصـبـة وـوـفـرـة المـيـاه ، حـيـث تـكـثـر فـيـها الزـرـاعـة ، وـخـاصـة  
أشـعـار النـخلـيل حـيـث يـعتمدـون فـي سـقـيـها عـلـى مـيـاه الـآـيـار<sup>(2)</sup> .

والشواهد القرآنية كثيرة على انتشار الزراعة في يثرب ، حيث وردت ألفاظ ومفردات كثيرة في سور المدينة تتعلق بالزراعة فيها دلالات واضحة على معرفة أهل المدينة بالزراعة ومحاصيلها المختلفة ، إذ ليس من المعقول أن يذكر (ﷺ) هذه

المحاصيل وهم بها جاهلون . ومن تلك الآيات قوله تعالى :-  
١- من سورة البقرة<sup>(\*)</sup> ، من الآية ٦١ ، **وَإِذْ فُلِمْ يَا مُوسَى لَنْ تَصِيرَ عَلَى طَعَامِ وَاحِدٍ فَادْعُ لِنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا نُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلَهَا وَقِنَائِهَا وَفُومَهَا وَعَدَسَهَا وَنَصْلَهَا ...**

2- سورة البقرة ، الآية 261 ، **مَثُلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثُلَ حَيَّةٍ أَنْبَثَتْ سَبْعَ سَبَابِلَ فِي كُلِّ سُبْنَلَةٍ مِائَةً حَبَّةً وَاللَّهُ يُصَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .**

3- سورة البقرة ، الآية : 266 ، أَبْوَدْ أَحْدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَخْلٍ وَأَغْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ التَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكَبِيرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ صُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا أَعْصَابُ فِيمَ نَارٍ فَاحْتَرَقَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَسْكُنُونَ

وفي سورة الحشر الآية 5 ، دليل على انتشار زراعة النخيل في المدينة كما ذكرنا ونري ذلك واضحًا في قوله تعالى : **إِنَّمَا قَطَعْتُم مِّنْ لِبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَيَأْدِنِ اللَّهُ وَلِيُخْرِي الْفَاسِقِينَ**<sup>(3)</sup> والليلة هنا بمعنى النخلة .

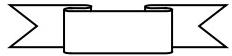
<sup>1</sup> . ابن شبه ، تاريخ المدينة ، 1/108 .

<sup>2</sup> (؟) الاصلخري ، المسالك والممالك ، ص 23 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، 5/82 .

<sup>(\*)</sup> وسورة البقرة من سور المدينة التي نزلت على رسوله الكريم (ﷺ) في 265 - 264 ميلادية.

<sup>3</sup> الطبرى ، تفسير ، 32-28: دروزة ، عصر النبي ، ص 29 .

<sup>3</sup>) الطبرى ، تفسير ، 32-33 ؟ دروزة ، عصر النبي ، ص 29 .



ويورد البلاذري<sup>(1)</sup> رواية تشير إلى وجود الزراعة في المدينة وحدوث مشاكل بين أصحاب الأراضي . فلولا وجود الزراعة لما حدثت هذه الخصومات منها في سيل مهزور قال :- (قضى رسول الله (ﷺ) في سيل مهزور<sup>(\*)</sup> ، لأهل النخل إلى العقبين ولأهل الزرع إلى السراكين ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم) .

أما عن تسميات مدينة فيثرب هو الاسم الشائع والمعروف للمدينة قبل

الإسلام ، والنسب إليها يثري ويثربي واثرّبي ، والاسم مشتق من التّثريب : وهو اللوم والتّغيير ، وهي أيضًا المؤاخذه بالذنب أو التّرب وهو الفساد ، لهذا السبب قيل أنّ الرّسول (ﷺ) نهى عن تسميتها بـيـثـرب<sup>(2)</sup> وكان يحب أن يسمّيها طيبة<sup>(3)</sup> ، وقيل يثرب هو اسم أرضها مشتقة من التّرب : ارض حجارتـها كحجارة الحرة إلا إنـها بيـض ، وقيل أنها سميت بـيـثـرب باسم رجل من العمالـق وهو يـثـرب بن ارم لما نـزل أول مـرـة وـقـومـه مـوـضـعـ المـدـيـنـة<sup>(4)</sup> ، وقد ورد ذكرها بهذا الـاسـم مـرـة وـاحـدـة في القرآن الـكـرـيم في سورة الأحزاب الآية : 13 ، في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَازْجِعُوْا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ .

وكان نزول هذه الآية بعد حفر الخندق ونزول الأحزاب حول المدينة<sup>(5)</sup> .

وجاء اسم المدينة من مَدَن بالمكان إذا أقام به ، أو إنـها من دـان إذا أطـاع فالـمـيم زـائـدة ، لأنـ السـلـطـان يـسـكـنـ المـدـنـ فـتـقـامـ له طـاعـةـ فـيـهاـ . . . والمـدـيـنـةـ اـصـطـلـاحـاـ بـيـوـتـ مجـتـمـعـةـ كـثـيرـةـ تـجاـوزـ حدـ القرـىـ كـثـرـةـ وـعـمـارـةـ ، وـقـيلـ يـقـالـ لـكـلـ مـصـرـ

<sup>1</sup> (?) البلاذري ، أبي الحسن يحيى بن جابر ، (ت 279هـ) ، فتوح البلدان ، تحقيق: رضوان محمد رضوان ، مطبعة السعادة ، (مصر-1959) ، ص 16

(\*) وهو عبارة عن سيل من الأمطار يتخوف منه الغرق على أهل المدينة وسمي بهذا الاسم نسبة إلى بطن الوادي الذي تسيل فيه الأمطار بعد تجمعها . ينظر: ابن شبة ، تاريخ المدينة ، 1/108 .

(?) ابن منظور ، لسان العرب ، 1/253 ; ابن كثير ، تفسير ، 3/473 .<sup>2</sup>

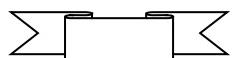
(?) البكري ، معجم ما استعجم ، 3/90 .<sup>3</sup>

(?) ابن منظور ، لسان العرب ، 1/236 ; ابن كثير ، تفسير ، 3/473 .<sup>4</sup>

(?) الطبرى ، تفسير ، 136-21/136 ; ابن كثير ، تفسير ، 3/473 .<sup>5</sup>

وستورد تفاصيل ذلك في الفصل الرابع موضوع (غزوه الخندق) ص

.113



مدينة<sup>(1)</sup> ، أما اسم المدينة في التاريخ الإسلامي فانه يراد بها غالباً المدينة المنورة ، ويذكر السمهودي<sup>(2)</sup> : (**والمدينة وان أطلق على أماكن كثيرة ، فهو علم مدينة رسول الله** (ﷺ) حيث لا يتبادر الى الفهم غيرها ) ، وان التسمية غلت عليها تصحيمأ لها<sup>(3)</sup> ، وعن سبب تسميتها فيذكر السمهودي<sup>(4)</sup> قائلاً : (**لأن النبي (ﷺ) سكنتها وله دانت الأمم**) ، وهي دار هجرة المسلمين والسبة إليها مدنی<sup>(5)</sup> ومن الممكن أن تكون المدينة قديماً تعرف بـ(**مدينة يثرب**) ثم اختصر الاسم فقيل لها مدینتا أي المدينة كما ذكر الدكتور جواد علي<sup>(6)</sup> .

وجاء ذكر اسم المدينة في القرآن الكريم في عدة آيات بشكل صريح أو بالإشارة لها كما في قوله تعالى في سورة الإسراء ، الآية : 80<sup>(\*)</sup>، **وَقُلْ رَبِّ أَذْخِلْنِي مُذْخَلَ صِدْقٍ وَآخْرِحْنِي مُحْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا تَصِيرًا** ، ويدرك الطبری<sup>(7)</sup> : - قصد الرسول (ﷺ) بمدخل الصدق الذي رغب أن يدخله فيه هو مدخله إلى المدينة حين هاجر إليها ، وعنى بمحرج الصدق مكة .

وورد اسم المدينة صريحاً في سورة التوبه ، الآية : 101 مما يدل على إن الله (ﷺ) سماها هذا الاسم في كتابه العزيز كما في قوله تعالى : **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَيَ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتِينِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابِ عَظِيمٍ** . وفي سورة الأحزاب ، الآية : 60 **إِلَئِنْ لَمْ يَتَّهِ أَمْتَافُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ وَالْمُرْجُفُونَ**<sup>(\*)</sup> **فِي الْمَدِينَةِ لِنُغَرِّيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا** .

<sup>1</sup> (? ) ابن منظور ، لسان العرب ، 5/176 ; السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/8 ، 9 . 23 .

<sup>2</sup> (? ) وفاء ، الوفا ، 1/23 .

<sup>3</sup> (? ) ابن منظور ، لسان العرب ، 13/402 .

<sup>4</sup> (? ) وفاء الوفا ، 1/23 .

<sup>5</sup> (?) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، (ت 666هـ) مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، (بيروت 1981-1991) ، ص 619 .

<sup>6</sup> (? ) المفصل ، 4/13 .

<sup>7</sup> (\*) وسورة الإسراء مكية ، إلا الآية : 80 ، فإنها مدینة . ينظر: الزنجاني ، تاريخ القرآن ، 29-28

<sup>7</sup> (? ) تفسيره ، 15/148 ؛ ابن كثير ، تفسيره ، 3/85 .

<sup>\*</sup> (\*) المرجفون : يعني أهل الإرجاف وهم أهل الكذب والباطل . ينظر: الطبری ، تفسير ، 2/136 .

وفي هذه الآية تحذير شديد للمنافقين<sup>(\*\*)</sup> والذين في قلوبهم مرض أي ريبة في شهوة الزنا وحب الفجور ويقال لهم الزناة ، ليس لك<sup>(١)</sup> عليهم ثم لتنفي هؤلاء عن مدینتك فلا يسكنون معك في المدينة إلا قليلاً من المدة والأجل<sup>(١)</sup>.

وفي سورة الحشر ، الآية : ٩ في قوله تعالى : **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَا جَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحِدُّونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقَ سُحْنَقِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** ويعني بالدار المدينة المنورة والمتبؤون هم الأنصار في المدينة يحبون المهاجرين<sup>(٢)</sup> ، وفي حديث للرسول ﷺ (ما يفتح من مصر أو مدينة عنوة فان المدينة فتحت بالقرآن)<sup>(٣)</sup>.

ومن فضائل المدينة إنها من أحب المدن للرسول ﷺ فقد دعا لها (اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة وان محمدًا عبدك ونبيك ورسولك دعاك لأهل المدينة بمثل ما دعاك به إبراهيم عليه السلام لأهل مكة ادعوك أن تبارك لهم في صاعهم وفي ثمارهم اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة واجعل ما بها من الوباء بخم اللهم قد حرمت لابتيها كما حرمت على لسان إبراهيم ﷺ الحرم)<sup>(٤)</sup>.

وصار اسم المدينة أكثر شيوعاً إلى جانب أسماء أخرى ويورد ابن شبه<sup>(٥)</sup> عن رسول الله ﷺ ، عشرة أسماء للمدينة هي (**المدينة ، وطيبة ، وطابة ، ومسكينة ، وجارة ،**

\*  
(\*\*) والمنافقون : مفردها منافق : وهي من الألفاظ المحدثة المشتقة ، وبطريق اسم المنافق من رأى بالاسلام واستتر بالكفر . ينظر: ابن كثير ، تفسيره ، ١/٤٥ ؛ الحافظ ، عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) ، كتاب الحيوان ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة مصطفى البابي ، (مصر- د.ت) ، ج ١ ،

ص ٣٣٢ ، وسيتم توضيح مفهوم النفاق والمنافقين في الباب الثاني موضوع (**الاووس والخرج**) (الأنصار) ص ١٨٧ .

<sup>١</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، ١٣٦-٢١/١٣٦ ؛ ابن كثير ، تفسيره ، ٣/٤٧٣ .

<sup>٢</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، ٢٨/٤١ .

<sup>٣</sup> (?) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٤ .

<sup>٤</sup> (?) الجندي ، أبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم ، (ت ٣٠٨هـ) ، فضائل المدينة ، ط ١ ، تحقيق: محمد مطعيم الحافظ ، دار الفكر ، (دمشق- ١٤٠٧هـ) ، ص ١٨ ؛ التوبيرى ، شهاب الدين ، احمد بن عبد الوهاب ، (ت ٧٣٣) ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، المؤسسة المصرية العامة ، نسخة مصورة ، (مصر- د.ت) ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .

<sup>٥</sup> (?) تاريخ المدينة ، ١/١٠٤ .

**ومحبورة ، ويندد ، ويشرب ، والدار ، والإيمان) ، ويقال أن المدينة مذكورة في التوراة باسم طابة حين قال : (أوحى الله إلى طابة : يا طابة يا مسكينة لا تقبلن الكنوز فاني ارفع اجاجيرك على اجاجير القرى) <sup>(1)</sup>.**

ويذكر ياقوت الحموي <sup>(2)</sup> : إن للمدينة تسعه وعشرين اسمًا ، أما السمهودي <sup>(3)</sup> فقد ذكر لنا أربعة وتسعين من أسمائها وقال : إن كثرة أسمائها دلالة واضحة على شرف المدينة ومكانتها .

## الفصل الثاني تنظيم يثرب وتكوين دولة المدينة

### النظام السياسي في الحجاز قبل الإسلام :-

كانت القبيلة هي الوحدة السياسية السائدة في الحجاز لأن العرب قبل الإسلام كانوا بدواً أو شبه بدو ، بحيث لم تكن لهم حكومة منظمة ، ولا ملوك يمنعون من تعدي بعضهم على بعض بما لهم من قوة تنفيذية ، إنما كانوا قبائل <sup>(\*)</sup> منتشرة في الجزيرة العربية كما في قوله تعالى : [إِنَّمَا كَانُوا قَبَائِلٍ] <sup>(\*)</sup> منتشرة في الجزيرة ذَكَرَ وَلِئْنَى وَحَعَلَتَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ<sup>(4)</sup> .

والقبيلة :- هي عبارة عن مجموعة من الأفراد تقيم في مكان واحد يسمى الحمى ، ويرتبط أبناء القبيلة برابطة النسب واتحاد الدم ، ويسعون لما فيه مصلحة القبيلة <sup>(5)</sup> ، ولها نظام حكومي على رأسه شيخ القبيلة .

<sup>1</sup> (؟) ابن عبد البر ، الدرر ، ص 40 .

<sup>2</sup> (؟) معجم البلدان ، 5/83 .

<sup>3</sup> (؟) وفاء الوفا ، 27-1/11 .

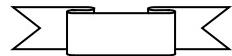
<sup>\*</sup> (\*) قال بعضهم سبع طبقات ، شعب وقبيلة ، وعمارة ويطن وفخذ وحبل وفصيلة ، وسميت الشعوب شعوباً لأن القبائل تشعبت منها ، وسميت القبائل قبائل لأن العماير تقابلت عليها . ينظر: الهمданى ، أبي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب ، (ت 306هـ) ، كتاب الإكليل ، تحقيق: محمد بن علي الاكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، (القاهرة- 1963 ) ، 1/22 .

<sup>4</sup> (؟) سورة الحجرات ، الآية : 13 .

<sup>5</sup> (?) أمين ، احمد ، فجر الإسلام ، ط 3 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة-1935) ،

ج 1 ، ص 276 : العلي، صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب، ط 3 ، مطبعة الإرشاد ،

(بغداد-1964) ، ج 1 ، ص 127 .



وشيخ القبائل هم أصحاب الكلمة العليا فيها والسلطة والحكم في قبائلهم بالتوارث وهذه مستقرة على الأغلب في بيوت معروفة وهم الذين يقودون قبائلهم في المعارك وينظمون شؤونها الداخلية ويمثلونها في الشؤون الخارجية ويعقدون باسمها الموااثيق والأحلاف ، والى جانب شيخ القبيلة في الحكم مجلس القبيلة الذي يتالف من رؤساء العشائر وكذلك كبار السن وأصحاب الرأي والحكمة مما يضفي على حكومة القبيلة صفة ديمقراطية ولا يوجد للقبيلة دستور أو قانون مكتوب ولكن قانونها الأعراف والتقاليد المتوارثة<sup>(1)</sup> .

يقول اليعقوبي<sup>(2)</sup> : **(وكان للعرب حكام ترجع إليها في أمورها وتحاكم في مناظراتها ومواريثها ومياهها ودمائها) .**

ومن حكام العرب التي تردد أسماؤهم في كتب التاريخ : كالأفعى بن الأفعى الجرهمي ، واسيد ابن عمرو ابن تميم ذا الأعواد<sup>(3)</sup> ، وهرم بن قطبة وقس بن ساعدة الأيادي<sup>(4)</sup> ، وكان للسلطات الحكومية للمدن الرئيسة والتي تنتشر هذه القبائل حولها من كلمة نافذة وصلات وثيقة ، تقوم هذه القبائل برعاية الصلات والروابط بسبب المصالح المتنوعة أو عامل الرغبة والرهبة وخاصة للسنن التي تسنها المدن للحياة الاجتماعية والدينية<sup>(5)</sup> ، ونستطيع أن نرى ذلك من خلال رفض القبائل العربية في موسام الحج المختلفة من الاستجابة للرسول (ﷺ) في دعوته للإسلام ، خوفاً من تضرر مصالحها مع قريش ، أما مكة التي كانت تحتل مكانة متميزة بين العرب ، بسبب وجود بيت الله الحرام وقدسيته في نفوسهم والتي كانت تحج إليه كل عام<sup>(6)</sup> ، وكذلك موقعها الوسط على طريق القوافل التجارية ، مما اتاح لأهلها الانفتاح والإطلاع على ما لدى

<sup>1</sup> (? ) حسن ، إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، ط 1 ، مكتبة النهضة ، مصر-1939 ( ) ، ص 193 .

<sup>2</sup> (? ) احمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، (ت 292هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، المكتبة المرتضوية ،

(النجف-1358هـ) ، ج 1 ، ص 214-215 .

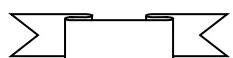
<sup>3</sup> (? ) المصدر نفسه ، 24-1 ص 28 .

<sup>4</sup> (? ) الجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن محبوب ، (ت 255هـ) ، البيان والتبيين ، ط 3 ، تحقيق: حسن السنديوي ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة-1947م) ، ج 1 ، ص 345 .

<sup>5</sup> (? ) دروزة ، عصر النبي ، ص 222 .

<sup>6</sup> (6) ولمزيد من الإطلاع عن نشأة بيت الله الحرام وشعائر الحج فيه ينظر الازرقى ، محمد بن عبد الله بن احمد ، أخبار مكة ، مطبعة

المدرسة المحروسة ، (قتنية-1375هـ) ، ج 1 ، ص 33 .



الأمم الأخرى ، لهذا نراها بلغت شيئاً من الرقي النسبي في نظام الحكم .

وقام قصي بن كلاب جد رسول الله (ﷺ) بتنظيم مكة والاهتمام بشؤون القرشيين في أوائل القرن الخامس الميلادي ، وقد جمع بطون قريش كلها وألف من رؤسائهم مجلساً يُعرف بالملأ - وكان ينظر في شؤون الكعبة وأمور التجارة وتجهيز القوافل التجارية ودخول الحروب وعقد الاتفاقيات والمعاهدات<sup>(1)</sup> وهذا النظام شبيه بحكومة الجمهورية التي يسيطر عليها أفراد قلائل أو مجلس من الأعيان والتجار أصحاب الثروة والجاه<sup>(2)</sup> ، وبنى قصي بن كلاب دار الندوة قرب الكعبة في الجهة الشمالية فأصبحت مجلساً لقريش<sup>(3)</sup> ، ومقرًا لمشاوراتهم وكذلك لعقد المحالفات مع القبائل والتداول في شؤونها هذا فضلاً عن تنظيم أمور الحج وتوزيع الأعمال كالحجابة والسكنية والرفادة والندوة واللواء ، وكذلك القضاء مما يدل على مدى الرقي لجهازها الإداري ، ومن الأعمال المتعلقة بالقضاء هي الاشناق والديات والمغارم ، وأيضاً اجتماع بعض بطون قريش على حلف الفضول الذي تحالفوا فيه على ألا يكون بمكة قريب أو غريب ولا حر ولا عبد مظلوم إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه<sup>(4)</sup> .

أما يثرب قبل الإسلام فقد كان التشريع فيها راقياً نسبياً ، لاختلاط العرب فيها باليهود ، واليهود أصحاب كتاب لديهم التوارية وشرحها وفيها كثير من الأحكام ، وكانوا متأثرين في شؤونهم للقانون اليهودي<sup>(5)</sup> ، ويبدو أن أهل المدينة من الأوس والخرج كانوا يدركون أهمية ومعنى الدولة والحكومة ودورها في تنظيم شؤون مدينتهم خصوصاً وإنهم جاءوا من أصول يمانية قد عرفت تأسيس الدول<sup>(6)</sup> ، إلا أن الحروب الطاحنة بين القبيلتين منعنهما من تشكيل حكومة موحدة لهم .

وتذكر الروايات التاريخية أن قبيلة الخرج وهي كبرى قبيلتي يثرب كانت قد عدت العدة لتنصيب ملكاً عليها ، وهو عبد الله بن

<sup>1</sup> (1) ابن هشام السيرة ، ق 123-1 .

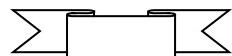
<sup>2</sup> (?) ولمزيد من الاطلاع ينظر: معروف ، ناجي ، أصالحة الحضارة العربية ، ط 1 ، مطبعة الزمان ، (بغداد-1969) ، ص 89 ؛  
الطبياوي ، عبد اللطيف ، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام ،  
(بيروت-1963) ، ص 120 ؛ حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام ، ص 60-65 .

<sup>3</sup> (?) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 1/240 .

<sup>4</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 133 .

<sup>5</sup> (?) احمد أمين ، فجر الإسلام ، 1/278 .

<sup>6</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 13 .



**أبي بن سلول (ونظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكون عليهم)<sup>(1)</sup>** ، ولكن هذا الأمر لم يتم ، بسبب هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة .

وكان دخول رسول الله (ﷺ) إلى المدينة يوم الاثنين لاثنتي ليلة خلت من شهر ربيع الأول فنزل بقباء على كلثوم بن هرم أخيبني عمرو ابن عوف<sup>(2)</sup> ، وكان يخرج ويجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان عزيزاً لا أهل له<sup>(3)</sup> .

وكان وصول الرسول إلى المدينة بعد ثلات عشرة سنة منبعثة ، بداية عهد جديد لمجتمع المدينة والدعوة الإسلامية ، وأذاناً لإنهاء الدور المكي والانتقال للعهد المدني وببداية إنشاء دولة المدينة نواة الدولة العربية الإسلامية ، ووضع الأساس للدولة ، ومن العوامل التي ساعدت على قيام دولة المدينة :-

1- إن المدينة لم تحض بدولة موحدة وحكومة مركزية تعمل على جمع الشمل وتوفير الأمن والاستقرار ورعاية المصالح واحد أسبابها التركيب السكاني للمدينة المتألف من خمس قبائل رئيسة اثنين عربية الاوس والخرج وثلاث يهودية هم :- بنو قينقاع ، وبنو النصیر ، وبنو قريظة .

2- النزاع والصراع المستمر بين الاوس والخرج على الأراضي الزراعية ومصادر المياه وبسبب اختلاف المصالح والدور الذي لعبه اليهود في إيقاد نار الفتنة وال الحرب بين طرفي النزاع وكذلك سعي الخرج إلى إخضاع الاوس لسلطانهم<sup>(4)</sup> .

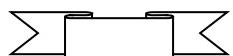
3- سلسلة الحروب الطويلة والدامية التي أتعبت الطرفين وقضت إلى معظم زعاماتهم التي كانت موضع احترامهم ومؤهلة للسيادة قتلوا في موقعة بعاث آخر معركة دارت بين الاوس والخرج قبل خمس سنوات من مقدم رسول

¹ (المصدر نفسه ، ق 585) .

² (؟) ابن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري ، (ت 240هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، ط 1 ، تحقيق: أكرم ضياء العمري مطبعة الآداب ، (النجف-1967) ، ج 1 ، ص 12 ؛ ابن سيد الناس ، أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله الشافعي ، (ت 734هـ) ، عيون الأثر في فنون المغاربي والشمائل والسير ، ط 1 ، مكتبة المقدسي ، (القاهرة- 1356هـ) ، ج 1 ، ص 192 ؛ العيدروسي ، عبد القادر بن شيخ عبد الله ، (ت 1027هـ) ، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-1405هـ) ، ص 9 .

³ (؟) الطبری ، تاريخ ، 2/382 ؛ المقریزی ، امتاع الأسماء ، 1/38 .

⁴ (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 584 .



الله (ﷺ) فعند قدومه إلى المدينة لم يجد إلا زعماء ثانوين  
وهوؤاء كانوا أميل إلى الطاعة<sup>(1)</sup>.

4- إن كثرة الحروب أنهكت قواهم وأضرت بمصالحهم وكانوا يتطلعون للأمن والاستقرار والهدوء والى شخصية عادلة ومحايدة تعمل على حل النزاع الدائر بينهم والتي تمثلت في شخص الرسول (ﷺ) الذي يحمل كل الصفات التي تؤهله للقيادة وللرسالة.

5- مجاورة الاوس والخرج وهم أهل وثنية لليهود وهم أصحاب كتاب وما كانوا يسمعون منهم من قصص الأنبياء خصوصاً ما كان يشيعه اليهود عن قصة النبي الحديـد الذي سيظهر ويقاتلونـهم معـه قـتل عـاد وـثمود<sup>(2)</sup>، فأسرعوا إلى اعـتنـاقـه قبل أن يـسبـقـهمـ اليـهـودـ إـلـيـهـ.

6- ما يحمله الدين الإسلامي من مبادئ وقيم سامية تعمل على الألفة والمحبة ودفن الأحقاد وما يدعوا إليه من عدل ومساواة ورحمة كلها عوامل ساعدت على بناء المواطن المؤمن في مجتمع المدينة الجديد وأدت إلى تخفيف حدة العصبية القبلية بين الاوس والخرج ، أصبحت تجمعهم رابطة العقيدة بدل رابطة الدم ، وأصبح الاثنان يحملون اسمـاً واحدـاً هوـ الـأـنـصـارـ .

7- كانت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب)  
حجر الزاوية في بناء الدولة الإسلامية في المدينة والبيعة<sup>(\*)</sup> اصطلاحاً : هي عبارة عن المعايدة والمعاقدة ، لأن كل واحد منها باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخلـةـ أمرـهـ<sup>(3)</sup> ، وهو نوع من الميثاق ببذل الطاعة .

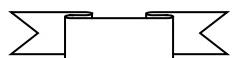
وظاهر الآية التي نزلت في بيعة العقبة الأولى (بيعة النساء) وهي سورة الممتحنة ، الآية : 12 ، هي بيعة للنساء فقط ، ولكنها في حقيقتها كانت بيعة عامة للمؤمنين والمؤمنات .  
وهو خطاب للرسول الكريم أن يشترط على المبايعين الالتزام بمبادئ الإسلام على حد سواء من كلا الجنسين ، أن لا

<sup>1</sup> (? ) الشريف ، مكة والمدينة ، 382 .

<sup>2</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/547 ; ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 2/67 .

<sup>\*</sup> (\*) والبيعة في اللغة : الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة ، أصله بيع والبيع ضد الشراء وهو من الأضداد ، وبعث الشيء شريته . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 8/26 .

<sup>3</sup> (? ) ابن منظور ، لسان العرب ، 8/23 .



يشركن بالله ولا يكذبن ولا يفترن ولا  
يزنبن ، وان لا يعصينه في معروف من أمره عز وجل يأمرهن به  
رسوله <sup>(1)</sup>  
الكريم

وتذكر الروايات ومنها رواية ابن عباس حيث يذكر إن الإسلام  
: (منعهن أن ينحرن وكن في الجاهلية يمزحون الثياب  
ويخدشن الوجوه ويدعون بالويل  
والثبور) <sup>(2)</sup>

والاستغفار في هذه الآية معناه دعاء الرسول للمؤمنات  
برعاية الله لهن ورضوانه عليهن وتסديد خطاهن ، وباعهن أي  
واثقهن على ذلك وفيها إشارة واضحة لحقوق النبي في قيادة  
الأمة <sup>(3)</sup>

وقد جاءت بيعة العقبة الثانية التي عقدت بين الرسول (ﷺ)  
ووفد من  
الأنصار من آهل المدينة اعترافاً ضمنياً على إعطاء السلطة  
السياسية في المدينة وبذل الطاعة لله ولرسوله الكريم ، فقد  
عاهدوه أن ينصروه على القريب والبعيد ويحاربوا معه الأسود  
والأحمر ، واخذ عليهم العهود والمواثيق أن يمنعوه وأهله مما  
يمنعون منه أنفسهم وأهليهم وأولادهم <sup>(4)</sup> ، وفي مقابل ذلك طلب  
المبايعون من الرسول (ﷺ) أن لا يتخلى عنهم إذا تم له النصر على  
أعدائه وقد جاء ذلك على لسان أبي الهيثم بن التیهان وهو يخاطب  
النبي (ﷺ) :- يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنما  
قاطعواها - يعني اليهود - فهل عَسِيت إن نحن فعلنا ذلك ثم  
أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنى ؟ قال فتبسم رسول  
الله (ﷺ) ثم قال :- بل الدم الدم والهدم الهدم ، إنما منكم وانتم مني  
، أحارب من حاربتم وأسلام من سالمتم ثم طلب منهم أن

<sup>1</sup> (?) الطباطبائي ، سيد محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ط 3  
، دار الكتب الإسلامية ،  
طهران-1402هـ) ، 18/298 .

<sup>2</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 81-228/77 .

<sup>3</sup> (?) الطبرى ، تفسير ، 81-28/79 ; الطباطبائي ، الميزان ، 18/298 ;  
الحنفى ، الشيخ جلال الحنفى البغدادى ، شخصية الرسول الأعظم  
قرآنياً ، مؤسسة المدرسة البغدادية في العروض والتجويد والسير  
النبوية ، ط 1 ، (بغداد-1997) ، 176 .

<sup>4</sup> (?) الباقوى ، تاريخ الباقوى ، 28/2 ، وهناك أيضاً بيعة أخرى ولكنها  
جائت بعد قيام الدولة في المدينة في صلح الحديبية وهي بيعة  
الرضاوان ، حيث جعل الله في هذه البيعة بيعة الرسول هي مبايعة له  
كما في سورة الفتح ، الآية : 10 .



يخرجوا منهم اثنا عشر نقيباً لكي يكونوا على قومهم تسعة من الخرج وثلاثة من الاوس<sup>(1)</sup> وكان هؤلاء من سادة وأمناء قومهم وأصحاب كلمة فيهم ، ومن هنا بدأت السلطة السياسية للرسول الكريم (ﷺ) في المدينة .

**نظام الحكم الإسلامي في دولة المدينة :**  
 نظام الحكم في الشريعة أي القانون : هو عبارة من القواعد والأحكام التي تتعلق بالحاكم أي رئيس الدولة وكيفية اختياره وعلاقة الأمة به والأغراض التي يهدف إليها الحاكم<sup>(2)</sup> .  
 فأساس نظام الحكم الإسلامي في دولة الرسول (ﷺ) هو الحكم الإلهي الالهي<sup>(3)</sup> ، فسبحانه وتعالى هو الحاكم الحقيقي للعالم وتعود له ملكيته لا ينافيه فيها أحد وقانونه القانون السامي الأبدى .

وقد صوره لنا (ﷺ) في كتابه العزيز في آيات كثيرة تعبّر عن ذلك في قوله تعالى :-

- 1- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ﴾<sup>(4)</sup> .
- 2- ﴿فُلِّي اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(5)</sup> .
- 3- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(6)</sup> .
- 4- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِيرٌ﴾<sup>(7)</sup> .

فهذه الآيات تظهر أن الله هو حاكم الكون وهو خالق السماوات والأرض وما فيهن وله ملك كل شيء<sup>(8)</sup> .

<sup>1</sup> (?) ابن هشام ، ق 1/442 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3/162 ؛ سورة الصاف ، الآية : 14 ذكرت في التمهيد .

<sup>2</sup> (?) زيدان عبد الكريم ، أصول الدعوة ، ط 2 ، مطبعة سلمان الاعظمي ، (بغداد-1972م) ، ص 162 .

<sup>3</sup> (?) شرف ، الفكر السياسي ، ص 64 .

<sup>4</sup> (?) سورة البقرة ، الآية : 107 ؛ وينظر أيضاً في سورة البقرة ، الآية : 255 ، قد جاءت في نفس المعنى .

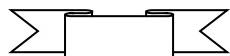
<sup>5</sup> (?) سورة آل عمران ، الآية : 26 .

<sup>6</sup> (?) سورة النور ، الآية : 42 .

<sup>7</sup> (?) سورة آل عمران ، الآية : 189 ؛ ينظر سورة التوبه ، الآية 116 .

<sup>8</sup> (?) الازهري ، أبو منصور محمد بن احمد ، (ت 370هـ) ، الزاهر في

غريب الفاظ الشافعي ، ط 1 ، تحقيق: محمد جبر الالفي ، وزارة



## - أسس الحكم وسلطة الرسول(ﷺ) في دولة المدينة :-

بدأت الدولة الإسلامية نشاطها في المدينة بعد أن تكاملت أركانها ووجدت أرضاً تستقر عليها . وببدأ المجتمع حياته الفعلية واخذ يؤدي وظائفه وتطبيق المبادئ النظرية ، ولم تكن هناك أية وظيفة من وظائف الدولة إلا قامت بها على أساس وقواعد مقررة ، ووضع الرسول(ﷺ) الأسس والدعائم للدولة الإسلامية الكبرى ، فكانت مدة النبوة في نظر التاريخ الإسلامي مرحلة تأسيس الشرائع ، وقد بين ابن خلدون<sup>(١)</sup> أهمية الدين في بناء الدولة وقوتها : **(لان الدعوه الدينية تزيد الدولة في اصلها قوه على قوه العصبية التي كانت لها في عددها وذلك إن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد في أهل العصبية)** ، وتعد هذه الدولة أول محاولة في تاريخ الجزيرة العربية لتنظيم العرب تنظيماً غير مألف من قبل ، أساسه رابطة الدين لا رابطة الدم كما كان في الماضي ، ومرتبط بالله الواحد الأحد ، مثل الوحدة السياسية<sup>(٢)</sup> ، فخفف بذلك من حدة العصبية الجاهلية ، وسهل على القبائل العربية طاعته والانضواء تحت لوائه ، كما أن الجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية في قبضة رجل واحد قد جنب المجتمع سلسلة المراتب ، حيث لا طوائف كهنوتية ولا طبقات ذات امتيازات ، وأساس نظام الحكم الإسلامي أن الحاكم هو الذي يحكم ولا يملك على عكس جميع أنظمة الحكم في تاريخ الاجتماع الإنساني<sup>(٣)</sup> ، وما دام الله هو الحاكم الحقيقي للعالم وهو خالق الإنسان خليفة في الأرض ، وما دام الله لا يحكم بنفسه فإنه يختار ويُصطفى الملوك والحكام الذين يكونوا واجبهم تحقيق العدالة طبقاً للقانون الإلهي ، يقول الله عز وجل : **إِنَّمَّا**

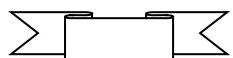
الأوقاف ، (الكويت-1399هـ) ، ج 1 ، ص 419 .

<sup>١</sup> (?) عبد الرحمن بن محمد ، (ت808هـ) ، مقدمة ابن خلدون ، مطبعة الكشاف ،

(بيروت-د.ت) ، ج 1 ، ص 158 .

<sup>٢</sup> (?) حتى ، فيليب ، تاريخ العرب مطول ، دار الكشاف ، (بيروت-1949) ، ج 1 ، ص 186 .

<sup>٣</sup> (?) ل . أ . سيد يُؤ ، تاريخ العرب العام ، نقله للعربية ، عادل زعير ، دار إحياء الكتب العربية ، (دم-1948) ، ص 117 .



**يُحِبُّ الْمُحْسِنَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ حُلَفاءَ  
الْأَرْضِ ...**

وقد اختار (ﷺ) الرسول محمدًا (ﷺ) أول حاكم للدولة العربية الإسلامية ، ومن مهام الأنبياء الحكم بين الناس وخاصة عند اشتداد مشاكلهم وتازم أوضاعهم وخصوصاتهم<sup>(2)</sup> ، وتمثل ذلك في قوله تعالى : **كَانَ النَّاسُ أَمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ التَّبِيِّنَ  
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ  
النَّاسِ ...**

حيث أنيط بالرسول (ﷺ) النظر في كل الأمور التي تخص الدولة والمجتمع والأفراد ، وان يحكم بينهم بالعدل والمساواة وفقاً لشريائع السماء كما في قوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ  
تُؤْمِنُوا بِالْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ  
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُونَ**

واستمر حكم الرسول (ﷺ) عشر سنوات ، كان فيها رئيساً للدولة وقاضياً للمسلمين يقودهم في الحرب ويئمهم في الصلاة وله من سلطان الدنيا كل ما للأمير المطلق اليدين في رعاياه كما له من سلطان الآخرة كل ما للنبي الذي يعلم من الغيب ما ليس يعلم المحكومون وله سلطان الكفاءة والمهابة ما يعترف به بين أتباعه إلا انه لم يشا إلا أن يكون الرئيس الأكبر ، بسلطان الصديق ، فكان أكثر رجل مشاورة للرجال وكان حب التابعين شرطاً عنده من شروط الإمامة<sup>(5)</sup> ، فكان القرآن ينزل بالأحكام والأحاديث النبوية تفصيلاً مبينة لما يعرض من الحوادث .

وهكذا فان السلطة الزمنية والروحية التي جمعت بيد الرسول الكريم كانت توجب على المسلمين طاعتها والامتثال الى أوامرها .

وهناك آيات كثيرة في كتابه العزيز تحت على طاعة الرسول (ﷺ) بل منها ما يجعل طاعة الله والرسول (ﷺ) واحدة ، كقوله تعالى في :

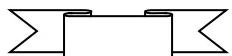
<sup>1</sup> (? ) سورة النمل ، من الآية : 62 .

<sup>2</sup> (? ) عرجون ، محمد الصادق ، الموسوعة في سماحة الإسلام ، مؤسسة سجل العرب ، (القاهرة-1972) ، ج 2 ، ص 553؛ محمد جلال شرف ، الفكر السياسي ، ص 66-68 .

<sup>3</sup> (? ) سورة البقرة ، من الآية : 213 .

<sup>4</sup> (? ) سورة النساء ، الآية : 58 .

<sup>5</sup> (? ) العقاد ، عباس محمود ، العقريات الإسلامية ، ط 1 ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت-1974) . 1/96 .



**١- سورة آل عمران، الآية: ٣٢: فُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ  
فَإِنْ تَوْلُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْكَافِرِينَ .**

ويذكر أنها نزلت في وفد نجران<sup>(\*)</sup> من النصارى الذين كانوا يدعون محبة الله ، فيخاطب الله الرسول (ﷺ) ، قل لهؤلاء الوفد أطِيعُوا الله وَالرَّسُولَ مُحَمَّداً فانتعلم يقيناً انه رسول الله وبعثته بالحق وتجدونه مكتوباً عندكم في الإنجيل ، فإن اعرضوا وانكروا نبوتك فإنهم كافرون برغم ادعائهم محبة الله<sup>(١)</sup>

**٢- وكذلك في سورة آل عمران، الآية: ١٣٢: وَأَطِيعُوا اللَّهَ  
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ**

وقيل أن سبب نزول هذه الآية معاقبة لأصحاب الرسول (ﷺ) الذين خالفوا أمره يوم أحد فتركوا مراكزهم التي أمرهم بها الرسول وجرى عليهم ما جرى من الضعف والوهن فكان درساً ليتعصموا به في المعارك الأخرى ويجب أيضاً الاتحاد والاتفاق وإطاعة الله وإطاعة رسوله بكل أمر<sup>(٢)</sup>

**٣- وفي سورة النساء ، الآية : ٥٩ ، إِنَّا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . . . .**

ويذكر الطبرى<sup>(٣)</sup> في رواية عن ابن عباس (ﷺ) ، أولو الأمر هم أولو العلم والفقه والدين وقيل هم أصحاب محمد (ﷺ) وقيل هم أولو الدين والعقل والعلم

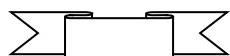
(\* ) وفد نجران :- وهو وفد نصارى نجران ستون راكباً منهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم منهم ثلاثة يقول أمرهم إليهم ، منهم العاقد أمير القوم ذو رأيهم . وفدوا على المدينة على الرسول (ﷺ) فهم يحتاجون في قولهم هو الله يحيى ويميت . ويحتاجون في قولهم هو ثالث فلما دعاهم الرسول (ﷺ) للإسلام قالوا أسلمنا فنزل الله بداية سورة آل عمران تكذيباً لهم . ينظر: ابن هشام ، السيرة ،

ق ٥٧٣-٥٧٦ ، وقد انفرد بهذه الرواية الطبرى ، تفسير ، ٣/٢٣٢ ، ولم يذكرها القرطبي وابن كثير في تفسيرهما . وهي (المباحثة) .

(١) الطبرى ، تفسيره ، ٣/٢٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٤/٤٣٥ ؛ ينظر الطباطبائى ، تفسير الميزان ، ٤/٢٣٠ .

(٣) تفسيره ، ٥/١٥٢ .



والرأي والفضل<sup>(1)</sup> ، ويدرك أيضاً أن أولي الأمر هم العلماء والفقهاء والسلطين وتحب طاعتهم فيما يوافق الحق فان تنازعتم أي اختلفتم وتجادلتم فردوها الأمر في ذلك الى كتاب الله والى الرسول<sup>(2)</sup> في حياته وسته بعد مماته<sup>(2)</sup> .

في حديث عن أبي هريرة<sup>(2)</sup> عن رسول الله<sup>(2)</sup> قال : (ثم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني)<sup>(3)</sup> ، وهذا حديث في الحث على إطاعة أولي الأمر<sup>4</sup> سورة النساء ، الآية : 64 ، **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَتَهُمْ إِذْ طَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَفَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** .

وما نرسل يا محمد رسول<sup>5</sup> إلا فرضت طاعتهم على من أرسلته إليهم<sup>(4)</sup> .

5 سورة النساء ، الآية : 69 **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** . 6 سورة النساء ، الآية 80 ، **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** . أي حافظاً عما يعملون محاسباً<sup>(5)</sup> .

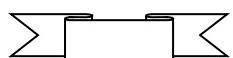
7- سورة المائدة ، الآية : 92 ، **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فِإِنْ تَوَلَّنْمَ فَأَغْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمِبِينُ** .

<sup>1</sup> (?) مجاهد ، أبو الحجاج مجاهد بن جابر المخزومي ، (ت104هـ) ، تفسير مجاهد ، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد ، (بيروت-د.ت) ، ج 1 ، ص 161 ، أما القرطبي فينفرد في رواية عن ابن عباس أنها نزلت في عبيد الله بن حذافة بن قيس السهمي ، أرسله الرسول في سرية وكان به دعابة وأشعل ناراً وطلب من أصحابه أن يلقوا أنفسهم فيها لأن الرسول أمرهم إطاعة أميرهم فرفضوا ذلك وصوب الرسول رأيهم وقال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) : القرطبي ، تفسير ، 5/260 .

<sup>2</sup> (?) الواحدي ، علي بن احمد ، (ت468هـ) ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ط1 ، تحقيق: صفوان عدنان ، دار القلم ، (دمشق-بيروت-1415هـ) ، ج 1 ، ص 271 .

<sup>3</sup> (?) مسلم ، مسلم بن الحاج القشيري ، (ت261هـ) ، صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت-3/1466هـ) ، 5/159 .

<sup>4</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 5/159 .  
<sup>5</sup> (5) المصدر نفسه ، 5/180 .



هنا تحذير من عدم إطاعة الرسول وبعذاب الآخرة ولا ننسى أن هذه المرحلة مهمة من حياة الأمة والدولة الجديد فنهم بحاجة إلى الوحدة والتكاتف وإطاعة الرسول لأنه قائد الأمة ، سواء كقائد للمجتمع والتغيير أو كقائد سياسي وعسكري<sup>(1)</sup> .

8- سورة الأنفال ، الآية : 20 ، **إِيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوْلُوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ** .

9- سورة الأنفال ، الآية : 46 **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَّعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَنْذَهَ بِرِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** .

وهذه الآية استمرار في وصيته (٢) للMuslimين على طاعة الرسول وعلى عدم الاختلاف والتنازع لأنه يؤدي إلى ذهاب قوتكم ودولتكم<sup>(2)</sup> ، ويدرك مجاهد وكان ذهاب ريحكم يوم أحد<sup>(3)</sup> .

10- سورة النور ، الآية : 48 **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا قَرِيقُ مِنْهُمْ مُغْرِضُونَ** ، وهنا يقصد بهم المنافقون معرضون عن قول الحق<sup>(4)</sup> .

11- سورة النور ، الآية : 51 **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** .

12- سورة النور ، الآية : 52 **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِفِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِرُونَ** ، وهنا يقصد الفوز بالجنة جراء طاعتهم .

13- سورة النور ، الآية : 54 **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** .

14- سورة النور ، الآية : 56 **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَثُوا الرَّكَأَةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ، هنا إعادة تها توكيداً أي أطاعوا الرسول بما أمركم ونهاكم<sup>(5)</sup> .

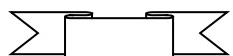
<sup>1</sup>) القرطبي ، التفسير ، 5/288 .

<sup>2</sup>) الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط 1 ، مطبعة مصطفى البابي وأولاده ، مصر-1960 ) ، ص 37 .

<sup>3</sup>) القرطبي ، تفسيره ، 8/24 .

<sup>4</sup>) الطبرى ، تفسيره ، 6/265 .

<sup>5</sup>) الطبرى ، تفسيره ، 18/157 .



## 15- سورة الأحزاب من الآية : 33 . . . وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الرَّزْكَاهَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . . .

وتذكر الروايات أنها نزلت في نساء النبي (ﷺ) فهذا أمر من الله على لسان نبيه الكريم بان يقمن الصلاة المفروضة والزكاة الواجبة ، وان يطعن الله ورسوله في ما أمرهن ونهاهن وان يلزمن بيتهن لأنهن ليس كنساء العالمين ، ويصنف القرطبي وابن كثير<sup>(1)</sup> أن هذه آداب أمر الله بها نساء الرسول ، ونساء الأمة تتبع لهن .

16- سورة الأحزاب ، الآية : 36 『وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ  
إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَهُ مِنْ  
أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا』 .  
يقول (ﷺ) لا يكون لمؤمن أو مؤمنة بالله ورسوله إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى به الله ورسوله فان لم يرضوا بذلك جاروا عن قصد السبيل<sup>(\*)</sup> .

وهذه الآية دليل آخر على سلطة الرسول (ﷺ) ليس في الأمور السياسية والعسكرية فقط وإنما رعايته للشؤون الاجتماعية التي تهم المسلمين في مجتمع المدينة .

17- سورة محمد ، الآية 33 『اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اَطِيعُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا اَعْمَالَكُمْ』 ، هنا أيضًا أمر من الله (ﷺ) للمؤمنين بلزوم وطاعة أوامر رسوله الكريم في سنته ولا تبطلوا بالمعاصي ، أي أبطال ثواب العمل المفروض ، ونهى الله عن ذلك<sup>(2)</sup> .

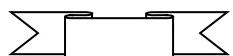
18- سورة المجادلة من الآية : 13 『فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا  
الرَّزْكَاهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ』 .  
19- سورة الحشر من الآية : 7 『وَمَا اتَّاکُمُ الرَّسُولُ فَحُذْوَهُ  
وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَاتَّهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ』<sup>(3)</sup> .

¹(?) تفسير القرطبي ، 14/179 ؛ تفسير ابن كثير ، 3/483 .

²(\*) ويذكر المفسرون أنها نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله (ﷺ) لفتاه زيد بن حارثة ، فامتنعت من انكاحه ؛ الطبرى ، تفسيره ، 221/11 ؛ القرطبي ، تفسيره ، 14/186 ؛ ابن كثير ، تفسيره ، 3/489 .

³(?) القرطبي ، تفسير ، 16/254 .

³(?) المعنى ، أي ما أعطاكم الرسول (ﷺ) من مال الغنيمة ، وفي رواية أخرى عن السدى : من أموال الفيء فخذلوه وما نهاكم عنه من الأخذ



20- سورة الحجرات ، الآية : ١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

وهنا خطاب وأمر من الله (ﷺ) لعباده المؤمنين أن لا يتrellasوا بقضاء أمر في حروفهم أو دينهم قبل أن يقضي الله بالوحى على لسان رسوله الكريم ، فتقضوا بخلاف أمر الله ورسوله والمراد به مقام الحكم المشترك بين الله ورسوله تأخذ منه الأحكام الاعتقادية والعملية ، وهنا دليل على أن السلطة التشريعية في المجتمع الإسلامي من الله ورسوله وهذا درس تأديبي للMuslimين في هذا المجتمع بعدم اتخاذ القرارات وإصدار الأحكام دون الرجوع إلى السلطة العليا في الدولة والمجتمع والمتمثلة بسلطة الرسول في المدينة يعده حاكماً اختياره (ﷺ) لحكم ورعاية مصالح المسلمين في المجتمع والأمة .

21- سورة التغابن ، الآية : ١٢ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ .  
وهنا أيضاً تأكيد منه (ﷺ) بضرورة إطاعة الله والرسول لكي يستقيم أمركم في شأن دينكم ودنياكم فان أعرضتم عن ذلك فما على رسولنا محمد (ﷺ) ، أي ما أبلغكم به من أمري والله ولـي الانتقام<sup>(٢)</sup> .

وهذه الآيات بمجموعها تشكل براهين واضحة على أن الرسول الكريم (ﷺ) كان يحكم بتفويض من الله وأمره كونهنبياً مطاعاً بإذن الله ، ومن هنا فان سلطات الرسول (ﷺ) كانت سلطات واسعة شملت كل جوانب الحياة في الدولة والمجتمع والأمة الإسلامية المصغرة التي كانت نواة للمجتمع الإسلامي وقد اعتمد الرسول (ﷺ) في حكمه على القرآن الكريم ومبدأ الشورى وأصبح هذان المبدئان فيما بعد أساس لنظام الحكم الإسلامي في الدولة العربية الإسلامية .

---

والغلول فانتهوا ، حيث جعل (ﷺ) نصيب لعدة أصناف من ذوي القربي واليتامى وأهل الحاجة مما افاء الله به على رسوله . ينظر: القرطبي ، تفسيره ، 18/17 .

(?) بين يدي الشيء : أمامه وهو استعمال شائع مجازي واستعاري استخدمه العرب بمعنى الأمر والنهي دونه . ينظر: الطبرى ، تفسيره ، 126/26 ؛ الطباطبائى ، الميزان ، 18/332 ؛ لابوم ، حول ، تفصيل آيات القرآن الكريم ، ط 2 ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة البابى (مصر - د.ت) ، ص 32 .

(?) الطبرى ، تفسير ، 28/124<sup>٢</sup> .



## القرآن الكريم :-

هو كلام الله الذي انزله على رسوله الكريم محمد (ﷺ) عن طريق الوحي وهو القانون الإلهي ودستور الأمة والدولة الإسلامية ومصدر تشريعها الأول ، وهو آخر الكتب المنزلة من السماء<sup>(1)</sup> كما في قوله تعالى : **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاصْحَّمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَبْيَغْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ حَعْلَنَا مِنْكُمْ شِرْعَةٌ وَمِنْهَا حَاجَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أَمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَنْلُوْكُمْ فِي مَا أَنَا كُمْ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ حَمِيعاً فَيُنَبَّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ<sup>(2)</sup>**

أي إن الله (ﷺ) انزل هذا القرآن على نبيه محمد (ﷺ) بالصدق لا شك فيه ، اميناً وحاكماً وشاهدأ على الكتب السماوية التي سبقته ، فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم بما انزل الله إليك حكمه في القرآن الكريم فما كان من حكم الأنبياء السابقين لم ينسخه في شركك ، ويقصد بـ(شرعه ومنهاجاً) هما طريقان واضحان أمرنا بالاستقامة عليها فالشرع هو الإبابة والله هو المشرع لعباده ولا يشرع النبي إلا بأمر الله تعالى فان شرع النبي هو شرع الله<sup>(3)</sup> .

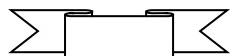
وقد اشتمل القرآن الكريم على الأحكام الأساسية لنظام الحكم في الدولة والمجتمع ، فعرض لعلاقة الفرد بإخوانه في الأيمان تارة وإخوانه في الإنسانية تارة أخرى وكذلك عرض علاقة الفرد بأسرته وأقاربه والعلاقة بين المرأة والرجل والزواج والطلاق وما حلله الشرع وما حرمه وصلة الجوار والترابم ، مما يجعل الأمة الإسلامية المصغرة امة واحدة وكذلك عرض علاقة الحاكم بالأمة عامة كمجتمع وبالأفراد خاصة ، وكذلك عرض علاقة هذه الأمة بالأمم الأخرى في حالتي السلم وال الحرب<sup>(4)</sup> ، وكذلك نرى أن سور المدينة التي نزلت على رسوله الكريم في المدينة تحمل

<sup>1</sup>) محمد جلال شرف ، الفكر السياسي ، ص 66 .

<sup>2</sup>) سورة المائدة ، الآية : 48 ، وهي من سور المدينة التي نزلت على الرسول الكريم في المدينة بعد الهجرة إلى المدينة ؛ الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص 111 .

<sup>3</sup>) الازهري ، الزاهر ، 1/420 ; مجاهد ، تفسير مجاهد ، 1/198 .

<sup>4</sup>) عرجون ، الموسوعة ، ص 562 .



في مضمونها التشريعات الضرورية لبناء الدولة والمجتمع وتنظيم جميع جوانبه لما فيه خير وصالح الأمة .

## الشوري في دولة الرسول (ﷺ) :

تعد الشوري الركيزة الثانية التي قام عليها نظام الحكم في الإسلام ، واعتمد عليها الرسول (ﷺ) في حكمه وإدارته لشؤون الدولة والمجتمع مما لا يضع مجالاً للشك من إن حكم الرسول كان ديمقراطياً بحيث لا يستبد الحاكم أياً كانت سلطاته وصلاحياته برأية ولا يقطع بأمر إلا بعد استشارة ذوي الخبرة والرأي لما فيه خير ومصلحة الدولة والأمة ، والشوري في اللغة لها اشتقاقات ومعاني كثيرة كما جاء في معجم العين<sup>(١)</sup> فاصلتها (شَوْرَ) والمسار المحبتي للعسل ، والشورة الموضع الذي تعسل فيه النحل ، والشار الهيئة الحسنة والمشورة مفعلة من الإشارة مثل أشرت عليهم بکذا ويقال مشورة ، وأشار عليه أي أمره به ، وهي الشورة والمشورة ، ومفهوم الشوري يعتمد على المشورة<sup>(٢)</sup> ، وهي وسيلة لتفاعل وتلامم الآراء المختلفة من أجل الوصول إلى أفضل الآراء<sup>(٣)</sup> ، والشوري ليست مبدأ جديداً على العرب فقد اتصف العرب في الجاهلية والإسلام برجاحة العقل والتسامح وعدم الاستبداد بالرأي لأنهم كانوا يميلون إلى التشاور في أمورهم ويعمدون إلى المفاوضات والتحكيم في مشاكلهم ، فسعوا بذلك إلى تحاشي الحروب وتلافي آثارها وفض الخصومات التي تقع بين القبائل بسبب التنافس على السيادة أو التنازع على موارد المياه ومنابت الكلأ أو في سباق الخيول وكذلك فض المنازعات التي تحدث نتيجة المنافسات في سوق عكاظ وغيرها .

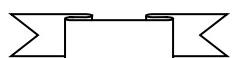
وحكومة الرسول (ﷺ) لم تكن حكومة دينية فحسب بل وسياسية أيضاً حيث جمع الرسول الكريم بيده السلطتين الدينية والسياسية فضلاً عن أن الرسول كان يمارس سلطنته بوحي من ربه ولكنه لم يهمل مبدأ الشوري لما لهذا المبدأ من أهمية كبيرة في إدارة الدولة والمجتمع ، ويدرك الطبرى<sup>(٤)</sup> أن الله أمر نبيه (ﷺ) أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه الوحي من السماء ، لأنه

<sup>١</sup> (?) الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن خليل بن احمد(ت175هـ) ، تحقيق: د.مهدي المخزومي ، (د.م- د.ت) ، 6/280 ، باب الشين والراء.

<sup>٢</sup> (?) ابن منظور ، لسان العرب ، 4/437 .

<sup>٣</sup> (?) الملاج ، هاشم يحيى ، بحث في مكانة الشوري في سياسة وأداء الدولة ، ندوة النظم الإسلامية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، (أبو ظبي-1984) ، ج 1 ، ص 15 .

<sup>٤</sup> (?) تفسير الطبرى ، 4/496 .



أطيب لأنفسهم ولترיהם انك تسمع منهم و تستعين بهم و ان كنت غنياً عنهم لتألفهم عليه ، وتبين له الرأي ، وأفضل الأمور في التدبير ، ولما علِمَ (٤) ما للمشورة من فضل<sup>(١)</sup> .

ولكي يتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم وليسنوا بستته من بعده<sup>(٢)</sup> ، وخاصة الحكم إذا انزل بالحاكم أمر يحتمل وجهاً ، ويجب أن يشاور من جمع العلم والأمانة<sup>(٣)</sup> .

إذن تلك هي الحكمة من أمره (٥) رسوله الكريم بالعمل بمبدأ الشورى وأول آية نزلت على رسوله الكريم فيها أمر الشورى ، هي قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

أما في المدينة فأول آية نزلت على الرسول (٦) تؤكد مبدأ الشورى قوله تعالى : ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَّتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّاً عَلَيْظًا الْقَلْبَ لَا نَفْصُوْلُ مِنْ حَوْلِكَ فَاغْفُرْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَرَمْتَ فَتَوَكِّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

والآية تصور خلق الرسول وحسن تعامله مع المسلمين ، وجاء ذكر الشورى في هذه الآية متربطاً مع الاستجابة لله والأيمان به وإقامة الصلاة ، لذلك فان منزلة الشورى جليلة وعظيمة ومهمة ، لكي يستطيع الحكم مشورة جماعته سواء كان ذلك الرأي له أم عليه حتى لو اختلفت الآراء عند المشورة ليس بفرقة ما دام الأمر النهائي سيكون للحاكم ، وقد سار الرسول الكريم على هذا المبدأ وطبقه طوال حياته فقد كان كثيراً المشاوره لأصحابه ، فالامر التي ينزل بها الوحي خصوصاً ما يتعلق بالأحكام والعبادات كانت أموراً قاطعة ليس بها مشورة لأنها حكم الله ، أما الأمور التوفيقية مثل أموراً الحرب والمكيدة والأمور السياسية والاجتماعية فكان يشاور بها أصحابه وكان كثيراً

<sup>١</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 4/496 ; ابن كثير ، تفسيره ، 4/118 .

<sup>٢</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 4/496 .

<sup>٣</sup> (? ) الشافعى ، أبو عبد الله محمد بن إدريس ، (ت 204هـ) ، كتاب ألام ، ط 2 ، دار المعرفة ،

(بيروت-1393هـ) ، ج 7 ، ص 95 .

<sup>٤</sup> (? ) سورة الشورى ، الآية : 38 ، وهي من السور المكية التي نزلت على الرسول الكريم في مكة قبل الهجرة ؛ الطبرى ، تفسير ، 6/25 :

ابن النديم ، الفهرست ، ص 37-38 .

<sup>٥</sup> (? ) سورة آل عمران ، الآية : 159 .

ما يقول (**أشيروا على أيها الناس**)<sup>(1)</sup> ، فلقد كان النبي (ﷺ) يجتمع مع أصحابه من ذوي الخبرة والرأي ويأخذ بآرائهم ، ومن هؤلاء الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل<sup>(2)</sup> وأبو بكر وعامر وأبو ذر والمقداد وبلال (ﷺ) وغيرهم<sup>(3)</sup> ، وكان من آداب هذه المجالس الاستشارية أن لا يغادر المجتمعون مجلس الرسول (ﷺ) من دون استئذان وكان للنبي أن يأذن لهم أو لا يأذن<sup>(4)</sup> ، كما ورد في قوله تعالى : **إِنَّمَا المؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ حَاجِمٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكُمْ لَتَعْصِمُ شَانِهِمْ فَإِذَا نَفَرْتُمْ لِمَنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ**<sup>(5)</sup>

وأمثلة التاريخ كثيرة على قوة مبدأ الشورى وحرية الرأي ، ففي السنة الثانية من الهجرة عندما نزل المسلمون على أول ماء من بدر استعداداً لحرب قريش ، جاء الخطاب بن المنذر بن الجموح إلى رسول الله قائلاً : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزاً انزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي وال الحرب والمكيدة ؟ قال : هو الرأي وال الحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله ثم تمور ما وراءه من القلب ثم تبني عليه حوضاً ، فتملؤه ماء ثم نقاتل القوم فتشرب ولا يشربون . فقال له : **(لقد أشرت بالرأي)**<sup>(6)</sup>

ومثلها كانت مشورة سعد بن معاذ على الرسول (ﷺ) ببناء عريش له قبل بدء المعركة<sup>(7)</sup> ، وكذلك مشاورته للمسلمين يوم استعدادهم لمعركة أحد وتخيرهم بين البقاء في المدينة أو الخروج منها ، وقد انقسم المشاوروون إلى فريقين وكان رأي الشيوخ من ذوي التجربة البقاء في المدينة والاستفادة من تحصيناتها أما

<sup>1</sup> (?) القرطبي ، تفسير ، 7/374 ؛ حسن إبراهيم ، النظم الإسلامية ، ص 194.

<sup>2</sup> (?) ابن سعد ، الطبقات ، 2/350 .

<sup>3</sup> (?) حسن إبراهيم ، النظم الإسلامية ، 194 .

<sup>4</sup> (?) جلال الحنفي ، الشيخ جلال البغدادي ، شخصية الرسول الأعظم قرآنياً ، مؤسسة المدرسة البغدادية في العروض والتوجيه والسير ، ط 1 ، (بغداد - 1997) ، ص 77 .

<sup>5</sup> (?) سورة النور ، الآية : 62 .

<sup>6</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/260 ؛ الطبرى ، تاريخ ، 2/440 .

<sup>7</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/260 .



الفريق الثاني اكثراهم من الشباب المتحمسين فقد أشاروا بالخروج من المدينة لمقابلة الأعداء<sup>(1)</sup> ، لكن رسول الله (ﷺ) اضطر إلى الأخذ برأي الأكثريه من الفريق الثاني مع اقتناعه بالرأي الأول ، وكذلك مشاورته في مصالحة الأحزاب على ثلث ثمار المدينة ، فأبى عليه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فترك ذلك وأخذ برأيهم<sup>(2)</sup> وحين شاور المسلمون يوم الحديبية بالميل على ذراري المشركيين ، أجاب أبو بكر (ﷺ) قائلاً : **(إنا لم نجيء لقتال وإنما جئنا معتمرین فاجابه الرسول إلى ما قال)**<sup>(3)</sup> ، والأخبار والأمثلة كثيرة في سيرة الرسول (ﷺ) لا يمكن حصرها . ويدرك أبو هريرة(ﷺ) قائلاً : **(ما رأيت أحداً أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله (ﷺ))**<sup>(4)</sup> .

وحين سُئل الرسول (ﷺ) عن الحزم قال : **(أن تستشير الرجل ذا الرأي ثم يقطع أمره)**<sup>(5)</sup> ، وكان يأخذ برأي مشاوريه حتى لو كان خلاف رأيه ، فهكذا كان محمد (ﷺ) رئيس الدولة والأمة في تبسطه وتواضعه وعدم استبداده بالرأي وفي ذلك خاطب (ﷺ) رسوله في القرآن الكريم : **[فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا عَلَيْطَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ...]**<sup>(6)</sup> .

ولم تقتصر مشورة الرسول (ﷺ) الصحابة في الأمور العامة وأمور الدولة وإنما كان يستشيرهم في أموره الخاصة أيضاً . وقد أشار إلى ذلك في حديثه (ﷺ) : **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى)**<sup>(7)</sup> والشوري هي خلق الرسول محمد (ﷺ) بعثه الله بها ، ولكن

<sup>1</sup> (? ) المصدو، نفسه ، ق 1/260

<sup>2</sup> (? ) المصدر نفسه ، ق 2/223 .

<sup>3</sup> (? ) ابن كثير ، تفسيره ، 1/420 .

<sup>4</sup> (? ) البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي ، (ت 458هـ) ، سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر ، عطاره مكتبة دار البار ، (مكة- 1494هـ) ، ج 10 ، ص 109 .

<sup>5</sup> (? ) المزي ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن ، (ت 742هـ) ، تهذيب الكمال ، ط 1 ، تحقيق: د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت-1980) ، ج 15 ، ص 206 .

<sup>6</sup> (? ) سورة آل عمران ، الآية : 159 .

<sup>7</sup> (? ) مسلم ، صحيح مسلم ، 4/1999 ، باب تراحم المؤمنين ؛ البيهقي ، سنن البيهقي ، 3/353 ؛ ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت 852هـ) ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تحقيق: فؤاد عبد

الباقي ، دار المعرفة ، (بيروت-1379هـ) ، ج 10 ، ص 439 .

المستشرق مونتجومري وات<sup>(1)</sup> قد جاء برأي غريب حول منشورة الرسول للأنصار بعد حديث الإفك واتهم الرسول بالضعف ، وعدم مقدرته التعرض لأبن ابي بن سلول ، لهذا جمع الأنصار ليحصل على الإذن بلاحقةه بسبب ضعف سلطة الرسول (ﷺ) في ذلك الوقت .

ولا ننسى أن حادث الإفك حدث جلل وليس بالهين اتهمت به السيدة عائشة أم المؤمنين وهي زوجة النبي (ﷺ) وهو رئيس الدولة ، وكذلك رمي به صحابي جليل مؤمن بالله وبالرسول وقتل شهيداً ، وكان وجوده في غزوة بني المصطبلق لمهمة جهادية على ساقية الجيش<sup>(2)</sup> .

وان الذي اتهم أم المؤمنين عائشة بالإفك هو رأس النفاق في المدينة عبد الله بن أبي بن سلول الذي امتلاً قلبه حقداً وكراهاً وضغينة على الإسلام ونبيه<sup>(3)</sup> ، والذي زاد الأمر سوءاً انقطاع نزول الوحي على النبي لمدة شهر وهي مدة طويلة في مثل هذه الظروف وهو كان ينتظر نزول الوحي لجسم الموقف ، فلما تأخر الوحي وكاجراء سريع عرض الأمر على الصحابة من المهاجرين والأنصار<sup>(4)</sup> ، ولا ننسى أن زوجات الرسول هن أمهات المؤمنين والنبي ليس شخص عادي فهونبي هذه الأمة ورئيس الدولة الجديدة في المدينة ، فالمسلمون هم أحق بالرد على العصبة التي جاءت بالإفك ، وان عرض هذا الأمر على الأنصار لأن زعيم عصبة الإفك هو احد زعماء الخزرج فخشى أن تحدث فتنه في المجتمع الإسلامي بين الاوسن والخزرج فكان تصرفه تصرف الحكيم لا الضعيف .

## القضاء والسلطة القضائية :

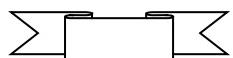
---

<sup>1</sup> (? ) محمد في المدينة ، تعریب : شعبان برکات ، المکتبة العصریة ، (بیروت- 1952) ، ص 348 .

<sup>2</sup> (? ) ابن هشام ، السیرة ، ق 298/2 ؛ الحلبیوسی ، عبد الله خلف حمد ، المنافقون في عصر الرسالة ، وهي رساله ماجستير غير منشورة - مقدمة إلى جامعة بغداد- كلية الآداب ، (بغداد- 1996) ، ص 140-145 .

<sup>3</sup> (? ) ابن كثیر ، تفسیره ، 3 / 265 ؛ ابن حجر العسقلانی ، أبو الفضل احمد بن علي ، (ت 852ھ) ؛ تعجیل المنفعه ، ط 1 ، تحقیق: أکرم الله ، دار الكتاب العربي ، (بیروت- د.ت) ، ج 1 ، ص 189 .

<sup>4</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 1 / 68-69 .



كان للعرب قبل الإسلام حكام ترجع إليها في أمورها وتحاكم في مناصراتها ومواريثها ومتناهياً لأنه لم يكن لهم دين يرجع إلى شرائعه، فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسن والحد والتجربة<sup>(1)</sup>، وقد جاءت جملة من أحكام العرب في الجاهلية موافقة لما جاءت بها الشريعة الإسلامية منها :-

- 1- **عقاب السارق**: حيث حكمت العرب قبل الإسلام بقطع اليد وأول من سن ذلك الوليد بن المغيرة وعبد المطلب<sup>(2)</sup>.
  - 2- **تحريم الخمر**: وقد حكم به جملة من حكام العرب قبل الإسلام منهم الوليد بن المغيرة وعبد المطلب وكذلك حكموا بالمنع من نكاح المحرمات والنهي عن قتل المؤودة وتحريم الزنى وإن لا يطوف إنسان بالبيت عريان<sup>(3)</sup> ، وقد جاءت في القرآن ما يحرم كل ذلك كما في قوله تعالى :-
- وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطُلُوَا أَيْدِيهِمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبُوا حَكِيمٌ<sup>(4)</sup>**
- 2- **إنما الحمر والميسير والأنصاب والأذالم رجس من عمل الشيطان فاختنبوه لعلكم تغلبون**<sup>(5)</sup>.
  - 3- **وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاجِشَةً وَمَفْتَأِةً وَسَاءَ سَبِيلًا، حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمَهَاتُكُمْ وَبَنَائِكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَائِكُمْ وَخَالَاتُكُمْ...<sup>(6)</sup>**
  - 4- **وَإِذَا الْمَوْوِدَةُ سُئِلَتْ، يَأْتِي ذَنبٌ فُتِلَتْ<sup>(7)</sup>**

<sup>1</sup>) العقوبي ، تاريخ العقوبي ، 2 / 224-228 .

<sup>2</sup>) الألوسي ، محمود شكري ، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ،

ط 3 ، تحقيق: محمد بهجة الأثري ، مطباع دار الكتاب العربي ،

(القاهرة-1342هـ) ، ج 1 ، ص 324 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/651-.

652

<sup>3</sup>) ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي ، (ت 245هـ) ، المحرر ، اعتمد بتصحيحه الدكتورة إبلaze ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديد ، (بيروت- د.ت) ، ص 236-237 .

<sup>4</sup>) سورة المائدة ، الآية : 38 .

<sup>5</sup>) سورة المائدة ، من الآية : 90 .

<sup>6</sup>) سورة النساء ، من الآية : 23-22 .

<sup>7</sup>) سورة التكوير ، الآية : 9-8 .



5- ﴿الرَّانِيَةُ وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مائَةَ حَلْدَةٍ  
وَلَا تَأْخُذُكُم بِمَا رَأَفْتُمْ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَاللَّيْوَمِ الْآخِرِ﴾<sup>(8)</sup>

6- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسُ فَلَا يَقْرَبُوا  
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ  
هَذَا﴾<sup>(2)</sup>

3- التوريث : أول من ورث ماله لولده قبل الإسلام للذكر مثل حظ الأنثيين فوافق بذلك حكم الشريعة عامر بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر<sup>(3)</sup> . كما في قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ  
مِثْلُ حَظِّ الْأَنْثَيَيْنِ...﴾<sup>(4)</sup>

ويذكر ابن قتيبة<sup>(5)</sup> ، أن أول من سن الديمة مائة من الإبل (أبو سيارة العدواني) ويقال أن أول من سن ذلك عبد المطلب فأخذت به قريش والعرب وأقره رسول الله (ﷺ) في الإسلام ، الديمة التي حكم بها العرب قبل الإسلام جاء بها حكم الإسلام فقد جاء في القرآن : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطًّا وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطًّا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ  
مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾<sup>(6)</sup> .

4- القرعة التي حكم بها العرب قبل الإسلام ، كانوا يعتمدون عليها في أحکامهم قد ورد ذكرها في القرآن الكريم إذ يقول : ﴿وَإِنْ يُونَسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذَا أَبْقَى إِلَى الْفَلَكِ  
الْمَسْخُونَ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُذَحَّبِينَ﴾<sup>(7)</sup> ، أي قارع فكان من المغلوبين إذ قرع فوقعت عليه القرعة<sup>(8)</sup> .

<sup>8</sup>) سورة النور ، من الآية : 2 .

<sup>2</sup>) سورة التوبية ، من الآية : 28 .

<sup>3</sup>) ابن حزم ، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي ، (ت456هـ)  
، جمهرة انساب العرب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار  
المعارف ، (مصر-1962) ، ص 308 .

<sup>4</sup>) سورة النساء ، من الآية : 11 .

<sup>5</sup>) المغارف ، ص 551 .

<sup>6</sup>) سورة النساء ، من الآية : 92 .

<sup>7</sup>) سورة الصافات ، الآية : 141-139 .

<sup>8</sup>) ابن كثير ، تفسيره ، 20 / 4 .

وقضى رسول الله (ﷺ) بالقرعة لما روي عن عائشة (رضي الله عنها) قولها ان النبي كان إذا أراد سفر أقرع بين نسائه فايتنهن خرج سهمنها خرج بها معه<sup>(1)</sup>.

**5- القيافة** التي مارسها العرب قبل الإسلام كطريقة من طرق إثبات الواقع عندهم واحتسبوا بها في إثبات النسب أو الاستدلال على اثر الجاني قضى بها رسول الله (ﷺ) وجعلها دليلاً على ثبوت النسب ، فقد روى أن هلال بن أمية اتهمت امرأته بشريك بن سمحاء فقال رسول الله (ﷺ) : **(أبعدوها فأن جاءت به أبضاً سبطاً وضيء العينيين فهو لهلال بن أمية وان جاءت بن أكحل جعداً حمش الساقين فهو لشريك بن سمحاء)**<sup>(2)</sup>.

أما السلطة القضائية في دولة المدينة في عصر رسول الله (ﷺ) ، بالإضافة إلى كونه رئيساً لحكومة المدينة فقد كان قاضيها أيضاً ، حيث تركزت بيده السلطات القضائية والتنفيذية من أجل إرساء قواعد العدل والمساواة في المجتمع والدولة ولكي يعم الأمن والاستقرار فيهما ، كما جاء في القرآن الكريم حول القضاء ومشروعيته : **إِنَّا دَأْوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيقَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَنْسِي الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . . .**<sup>(3)</sup>

كان النبي (ﷺ) أول قاض لل المسلمين ، وأول معلم لهم في القضاء وكان قضاة الرسول (ﷺ) واللجوء إليه عند حدوث خلاف ونزاع بين المسلمين بأمره (ﷺ) كما جاء في قوله تعالى :-

**1- إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى لِهْلَهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ يُعِظِّمُ بِهِ . . .**<sup>(4)</sup>

**2- ... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا**<sup>(5)</sup>

وكان الرسول (ﷺ) يحكم بين الناس بنص القرآن وبهدي وبالهـام منه (ﷺ) كما في قوله تعالى : **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/297 .

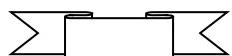
<sup>2</sup> (? ) البخاري ، صحيح ، 10 / 128 .

<sup>3</sup> (? ) سورة ص ، من الآية : 26 .

<sup>4</sup> (? ) سورة النساء ، من الآية : 58 .

<sup>5</sup> (? ) سورة النساء ، الآية : 59 .

<sup>6</sup> (? ) سورة النساء ، من الآية : 105 .



وهو يخاطب فيه (ﷺ) النبي (ﷺ) ليقضي بين الناس بالقرآن  
الكريم بما أرakk  
يعني بما انزل الله إليك من كتابه<sup>(1)</sup>.

وفي رواية أن رسول الله سمع خصومة بباب حجرته فخرج  
إليهم فقال : إنما أنا بشر وانه يأتيوني الخصم فلعل بعضكم ابلغ  
من بعض فاحسب انه صدق فاقضي له بذلك فمن قضيت له بحق  
مسلم هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها<sup>(2)</sup>.

وكذلك في قوله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ  
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوْا فِي أَنْفُسِهِمْ  
حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾<sup>(3)</sup> ، أي بمعنى أن  
الأيمان الحقيقي بالله ورسوله حقاً هو في الأحكام إلى رسول الله  
(ﷺ) فيما احتلطا عليهم في أمورهم فالتباس عليهم حكمه ، ولا  
يجدوا من حكم الرسول ضيقاً أو عدم رضى<sup>(4)</sup> ، وهناك أحاديث  
كثيرة تشير إلى منصب القضاة ومشروعيته منها ما روي عنه (ﷺ)  
قوله : (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا  
حكم فاجتهد فاختطا فله أجر)<sup>(5)</sup> . وروي عنه أيضاً قوله :  
(القضاة ثلاثة ، واحد في الجنة وأثنان في النار والذي  
في الجنة كرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف  
الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى  
للناس على جهل فهو في النار)<sup>(6)</sup>.

أما في الواقع العملي فقد حكم الرسول بأحكام قضائية  
حول بعض الجرائم التي حدثت في المدينة منها ما روي عن أم  
سلمة (رضي الله عنها) قوله : اختصم إلى رسول الله رجلان من  
الأنصار في مواريث متقدمة فقضى رسول الله (ﷺ) في بيتي<sup>(7)</sup> .  
ولفترط عدله وحسن قضائه كان يلجأ إليه من غير المسلمين  
(اليهود) في المدينة ليقضي بينهم<sup>(8)</sup> ، كما في قوله تعالى :

<sup>1</sup> (؟) الطبرى ، تفسيره ، 105-6/105.

<sup>2</sup> (؟) البخارى ، صحيح ، 2/867 ؛ القالى ، إسماعيل بن القاسم البغدادى ، (ت - 356هـ) كتاب الامالى ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، (بيروت-د.ت) ، 1/5 ، مادة (الحن) .

<sup>3</sup> (؟) سورة النساء ، الآية : 65 .

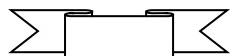
<sup>4</sup> (؟) الطبرى ، تفسيره ، 5/160 .

<sup>5</sup> (؟) مسلم ، صحيح ، 5/131 .

<sup>6</sup> (؟) ابن ماجة ، محمد بن يزيد القرزونى ، (ت 275هـ) ، سنن ابن ماجة ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، (بيروت-د.ت) ، 2/776 .

<sup>7</sup> (؟) البخارى ، صحيح ، 13/176 .

<sup>8</sup> (؟) ابن كثير ، تفسيره ، 66-2/65 .



**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ<sup>(1)</sup>**

حيث كان أهل الكتاب رغم ادعائهم أن في التوراة حكم الله يحتكمون إليه فإنهم كانوا يراجعون النبي ويسألونه الحكم بينه ، وفي رواية عن ابن عباس قال :- **(إِنَّ الرَّسُولَ مُخِيرٌ إِنْ شَاءَ حُكْمَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِنْ شَاءَ أَعْرَضَ)<sup>(2)</sup>**.

وروي عن انس بن مالك أن يهودياً رض رأس جارية بين حجرين فجيء بها إلى رسول الله (ﷺ) وبها رمق ، فقال لها رسول الله (ﷺ) أقتلوك فلان فأشارت برأسها أن لا ، ثم قال الثانية : فأشارت برأسها أن لا ، ثم سألالها الثالثة فأشارت برأسها ، انه نعم فجيء باليهودي فلم يزل به حتى أمر فرض رسول الله (ﷺ) رأسه بالحجر<sup>(3)</sup>.

وفي رواية عن أبي هريرة (ﷺ) حبس النبي (ﷺ) في التهمة حسناً يسيراً حتى استبرأ<sup>(4)</sup> ، ومن الآيات التي ورد فيها القضاء ومشروعيته أيضاً قوله تعالى :

**۱- وَأَنَّ أَحَقُّكُمْ بَيْتَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتِلُوكُمْ عَنْ بَعْضٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ . . .<sup>(5)</sup>**

**۲- أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْبُغِي لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ<sup>(6)</sup>**

**۳- وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْتَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ<sup>(7)</sup>**

وفي بعض الآيات وردت تعابير الشهود والشهادة والاستشهاد وهي من مستلزمات القضاء بين الناس وحفظ حقوقهم<sup>(8)</sup> . كما جاء في قوله تعالى :-

**۱- وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَيْنِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَاءِ أَنْ تَصِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرٌ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَاءُ**

<sup>1</sup> (? ) سورة المائدة ، الآية : 43 .

<sup>2</sup> (? ) ينظر ابن كثير ، تفسيره ، 66-2/65 .

<sup>3</sup> (? ) البخاري ، صحيح ، 13/176 .

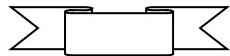
<sup>4</sup> (? ) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، (ت 276هـ) ، عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية العامة ، (مصر- د.ت) ، 1/272 .

<sup>5</sup> (? ) سورة المائدة ، من الآية : 49 .

<sup>6</sup> (? ) سورة المائدة ، الآية : 50 .

<sup>7</sup> (? ) سورة النور ، الآية : 48 .

<sup>8</sup> (? ) دروزة ، عصر النبي ، ص 224-225 .



إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى  
أَحْلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَفْوَمُ لِلشَّهَادَةِ . . . . .  
٢- وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَثِمٌ قَلْبُهُ . . . . .  
<sup>(١)</sup>  
<sup>(٢)</sup>

3- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنْهُمَا فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾<sup>(3)</sup>

وقد عهد الرسول ﷺ لبعض الصحابة في القضاة بين الناس في حياته كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعتاب بن اسيد <sup>(٤)</sup> ، وكان له أثر كبير في توجيههم ، وقد أرسل رسول الله ﷺ معاذًا قاضيًّا على اليمن وقال له كيف تقضي قال :- اقضى بكتاب الله قال : فان لم تجد قال : اقضي بسنة رسول الله ﷺ قال فان لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله قال : اجتهد ولا ألوأ قال فضرب رسول ﷺ صدر معاذ وقال :- الحمد لله الذي وفق رسول الله لما رضي الله في ذلك <sup>(٥)</sup> ، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: (علي ومعاذ بن جبل <sup>(٦)</sup> .  
أقضانا)

## الجهاز الإداري لدولة المدينة في عصر الرسول (ﷺ) :-

وضع الرسول (ﷺ) الدعائم الأولى لدولة المدينة والتي أصبحت فيما بعد قاعدة للدولة الإسلامية الكبرى ، ووضع دستوراً للمدينة ، فدولة المدينة كانت ملائمة تماماً لزمانه وعصره بل إنها كانت جامعة وشاملة وواافية لحاجات المجتمع آنذاك لكي تسهل عليه إدارة شؤون الدولة وإدماج القبائل بالتنظيم الإداري للدولة ولتسهيل الاتصال بها وتنظيم شؤونها ، حيث كان رسول الله (ﷺ) يُعين على كل قبيلة تعلن إسلامها رجلاً من وفدها وغالباً ما يكون

<sup>1</sup> . 282 الآية ، من سورة البقرة ، (?)

<sup>2</sup>) سورة البقرة ، من الآية : 283 .

(?) سورة النساء ، من الآية : 135 ؛ سورة المائدة : الآية 106-108 3

**وَسُورَةُ الطَّلاقُ ، الْآيَةُ : ٢ ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَعْطِي نَفْسَ الْمَعْنَى**

. 2/350 الطبقات ، ابن سعد ، (?)<sup>4</sup>

(?) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي ، (ت 275هـ) ،

سنن أبو داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر،  
ج 2/202

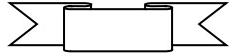
د.م-د.ت (٣)، ٣٣٣ / ٣٣٢ .

• (؟) ابن سعد ، الطبيعت ، 338-2/339 : الخطيب ، أبي العباس احمد

بن احمد ، وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام ، ط١ ، تحقيق: سلطان العبدالغفار (1984)

سليمان الصيد، دار العرب الإسلامي، (بيروت-1984)، 79

١٢ ، ص ٧٩ .



شيخها أو أحد رؤسائها وذلك مراعاةً لنفور القبائل العربية من تعين حاكم عليها من غير أبنائها<sup>(1)</sup> ، وعملاً بالقاعدة التي اتبعها (خيارهم في الجاهلية ، خيرهم في الإسلام إذا فقهوا) <sup>(2)</sup> وكان في بعض الأحيان يسند إليه مهمة جباية الأموال وما فرض على المسلمين من صدقة

وكان الرسول حريص على ضبط الأمور في المدينة حتى في حالاً خروجه منها في الغزوات فكان كثيراً ما يختار أحد الثقات من الصحابة ، فيختلفه على المدينة وعلى مكة بعد فتحها ، من يراه أهلاً للمسؤولية ، فمثلاً اختار على المدينة ابن أم مكتوم<sup>(\*)</sup> أميراً عليها بالنيابة عنه ثلاث عشرة مرة في غزواته<sup>(3)</sup> ، وكان له عمال للصدقات يرسلهم لجمع الصدقات في موعدها<sup>(4)</sup> ، كما في قوله تعالى : **إِنَّمَا لِلصَّدَقَاتِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**<sup>(5)</sup> .

وكانت تحيط بالرسول مجموعة من الصحابة من أهل العلم والفتوى والدرية منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل<sup>(\*)</sup> .

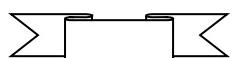
<sup>1</sup> (? ) الشري夫 ، مكة والمدينة ، ص 25 .  
<sup>2</sup> (? ) البخاري ، صحيح ، 3/1224 .

<sup>\*</sup> (\*) هو عبد الله ابن قيس من بني عامر بن لؤي وأمه أم مكتوم وقد بصره ، قدم المدينة مهاجراً بعد بدر ، ويقال أن مهاجرته بعد عامر بن ياسر ، وكان يصلى بالناس وشهد القادسية ومعه راية سوداء ، ثم رجع إلى المدينة فمات بها . ينظر: ابن قتيبة ، المعارف ، ص 126 .

<sup>3</sup> (?) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، 1/61 ; ينظر الفصل الرابع ، السرايا والمعاري ، من 124-96 وفيه أسماء من استخلفهم الرسول (ﷺ) على المدينة في غزواته ؛ ابن حبيب ، المحبير ، ص 125 .

<sup>4</sup> (?) ابن حبيب ، المحبير ، ص 125 .  
<sup>5</sup> (?) سورة التوبية ، الآية : 60 .

<sup>\*</sup> (\*) هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن اوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن غنم الخزرجي الأنصارى (ﷺ) شهد العقبة وبدر والمشاهد كلها وكان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياناً وسخاء وروى عن النبي أحاديث كثيرة وروى ابن عباس وابن عمر وأخرون من كبار التابعين وهو صحابي حليل ويدرك إن العلم في المدينة ينتهي إلى ست منهم معاذ بن جبل ، وقد أعجب الرسول (ﷺ) بعلمه وقضاءه ، وقد أرسله الرسول قاضياً لليمن ، توفي سنة سبع عشر أو ثمان عشر بسبب الطاعون في الشام . ينظر: ابن قانع ، أبو الحسين عبد الباقي ، (ت 351هـ) ، معجم الصحابة ، ط 1 ، تج: صلاح بن سالم ، مكتبة العزياء الأخرى ، (المدينة-1418هـ) ، ج 3 ، ص 24 ؛ الشيرازي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن علي بن يوسف ، (ت 476هـ) ، طبقات الفقهاء ، تحقيق:



وقد اهتم رسول الله (ﷺ) بالعلم والتفقه بعلوم القرآن الكريم فكان الرسول معلماً وهادياً وبشيراً ومثال ذلك إرساله عمار بن ياسر إلى المدينة قبل الهجرة ليقرأ الأنصار القرآن الكريم ، وجعل الرسول (ﷺ) فداء أسرى معركة بدر من قريش ومن لا طاقة لهم بدفع الفدية هو تعليم عشرة من صبيان المسلمين الكتبية<sup>(١)</sup>.

وقد اتخذ الرسول (ﷺ) الحرس ، وكان بعضهم مقيناً في مسجد المدينة من أهل الصفة<sup>(\*\*)</sup> وهو فقراء المسلمين الذين لم تكن عندهم غواصات هذا فضلاً عن بعض الصحابة الذين كانوا يتطوعون لهذا العمل منهم عمر بن الخطاب (ﷺ) وسعد بن أبي وقاص (ﷺ) وغيرهم<sup>(٢)</sup> ، حتى انزل قوله تعالى : **إِنَّمَا أَيْمَانُ الرَّسُولِ**  
**بَلَغَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ**  
**رَسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**<sup>(٣)</sup> ، فكفوا عن حراسته ، وكان هناك أيضاً حرس يحرسون المدينة ومعسكر جيش المسلمين<sup>(٤)</sup> ، وقد وضع الرسول (ﷺ) أسس الرقابة في الدولة على عمالها وولاتها على شكل توجيهات وتوصيات لهؤلاء وفي رواية عن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله (ﷺ) رجلاً من الأزد يقال له بن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا لي اهدي لي قال : فقام رسول الله (ﷺ) على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :- (ما بال عامل ابعثه فيقول هذا لكم وهذا اهدي لي أفلأ قعد في بيت أبيه أو في بيته حتى ينظر يهدي إليه أم لا والذى نفس محمد بيده لا ينال احد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيام يحمله على عنقه بغير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تعر . . .)<sup>(٥)</sup>

وقد اتخذ هذا الحديث وغيره قاعدة للمسلمين فيما بعد يعمدون عليه في قبول الحاكم للهديه بأنها رشوة ، وقد عين رسول الله (ﷺ) ولادة المسلمين وقد خصص لهم ما يكفيهم من المال ومثال ذلك عند فتح مكة استعمل عتاب بن أسيد بن أبي

<sup>١</sup> خليل المسي ، دار العلم ، (بيروت- د.ت) ، ص 26.

<sup>2</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 352/2-350 .

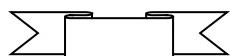
<sup>3</sup> \* ) أهل الصفة سنتحدث عنهم في موضوع بناء المسجد إن شاء الله من . 63 .

<sup>4</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 2/22 .

<sup>5</sup> (? ) سورة المائدة ، الآية : 67 .

<sup>6</sup> (? ) ابن حبيب ، المحبر ، ص 258 ; ابن شبه ، تاريخ المدينة ، 1/181 .

<sup>7</sup> (? ) مسلم ، صحيح ، 3/1463 .



العيسى ابن أمية وكان قد دخل في الإسلام بعد فتح مكة وذلك لتأليف قلوب أهل مكة حوله لأنه من الأسر ذات الشرف والقوة فيبني أمية ول يؤلف قلبه على الإسلام<sup>(1)</sup> ، وكان للرسول (ﷺ) عيونٌ في السرايا والغزوات<sup>(2)</sup> .

لقد اهتمت حكومة الرسول (ﷺ) بالشؤون الخارجية للدولة كاهتمامها بالشؤون الداخلية ، وكان أهمها إنشاء الديوان<sup>(\*)</sup> حيث كان الرسول (ﷺ) يكاتب الأمراء ، وأصحاب السرايا من الصحابة ، ويكاتبونه وكذلك كتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام وبعث إليهم رسالته بكتبه بعد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة لإكمال نشر دعوته إلى الناس كافة ليظهره على الدين كله كما في جاء في قوله تعالى : **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدًى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ يَنْعَمُونَ**<sup>(3)</sup> ، **وَمَا أَرْسَلَكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًاً وَذِيرًاً ...**<sup>(4)</sup> .

وكان هؤلاء الرسل بمثابة سفراء ممثلين عن الرسول (ﷺ) في الدعوة للإسلام فبعث رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة والمقوقس حاكم الإسكندرية وإلى كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم وإلى أمراء ومشايخ اليمن وعمان واليمامة ، وغيرهم<sup>(5)</sup> .

لذلك فقد احتاج الرسول (ﷺ) إلى مجموعة من الكتاب ممن يجيدون القراءة والكتابة وربما بعض المترجمين ، فقد روي عن زيد بن ثابت<sup>(\*)</sup> أن رسول الله (ﷺ) قال له :- انه يأتيني كتب من

<sup>1</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/500 .

<sup>2</sup> (؟) ابن حبيب ، المحبير ، ص 258 .

<sup>\*</sup> (\*) وهو ديوان الانشاء: وهو أول ديوان في الإسلام . ينظر: القلقشندي ، صبح الأعشى ، 1/91 .

<sup>3</sup> (؟) سورة التوبة ، من الآية : 33 .

<sup>4</sup> (؟) سورة سباء ، من الآية : 28 .

<sup>5</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 606/2-607 : ابن سعد ، الطبقات ، 1/258 ، وقد ذكر سنت سفراء

فقط : حميد الله ، محمد ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، ط 3 ، (بيروت-1969) ، ص 80-82 .

<sup>\*</sup> (\*) هو زيد بن ثابت بن الضحاك من الأنصار أحد بنى غنم بن مالك النجار ويكنى أبا سعد ويقال أبا عبد الرحمن ، قتل آباء في وقعة بعاث وهو ابن سنت سنتين ، وقدم رسول الله (ﷺ) المدينة وهو ابن أحد عشر

سنة وكان آخر عرض رسول الله القرآن على مصحفه وهو أقرب المصاحف ، وقد كتب لعمر بن الخطاب (ﷺ) ، ومات سنة خمس وأربعون . ينظر: ابن قتيبة ، المعارف ،

ص 113 .



أناس لا أحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو السريانية يقول زيد فقلت له نعم فتعلمتها في سبع عشرة ليلة<sup>(1)</sup> ، وكان من كتاب الوحي والعقود أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمرو بن العاص ومعاوية<sup>(2)</sup> وغيرهم<sup>(3)</sup> .

وقد جاء في القرآن الكريم عدد من الآيات التي تدل على كتابة العقود والعقود الرسمية بين المسلمين وغيرهم كما في قوله تعالى :

1- ﴿أَوْكُلِّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا تَبَذَّهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(3)</sup> .

2- ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾<sup>(4)</sup> .

3- ﴿إِنَّ شَرَ الدَّوَابَ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾<sup>(5)</sup> .

4- ﴿... وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَا حِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَآتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَا حِرُوا وَإِنْ أَسْتَصْرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ التَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾<sup>(6)</sup> .

وكان الرسول يستقبل الوفود ويجزل العطاء لهم<sup>(7)</sup> .

### الفصل الثالث

<sup>1</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 2/358 .

<sup>2</sup> (? ) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2/64 ; الخطيب ، وسيلة الإسلام ، 1/77 .

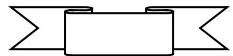
<sup>3</sup> (? ) سورة البقرة ، الآية : 100 .

<sup>4</sup> (? ) سورة النساء ، من الآية : 90 ، وينظر سورة النساء ، الآية : 92 تحمل نفس المعنى .

<sup>5</sup> (? ) سورة الأنفال ، الآية : 55 ، ومن الآية : 56 .

<sup>6</sup> (? ) سورة الأنفال ، من الآية : 72 ، وأيضاً سورة التوبه الآيات : 1 ، 4 ، 7 .

<sup>7</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 560-2/567 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 1/294 . 300



# إجراءات الرسول (ﷺ) في المدينة والدعوة إلى العمل الجماعي

## بناء المسجد في المدينة :-

نزل رسول الله (ﷺ) عند وصوله إلى المدينة على كلثوم بن هدم ، وكان أول نزوله في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجده<sup>(1)</sup> .

وقد اختلفت الروايات في تأسيس مسجد قباء وهل هو مسجد التقوى أم مسجد الرسول (ﷺ) الذي بناه في المدينة . وأورد البلاذري<sup>(2)</sup> عدة روايات عن بناء المسجد منها قوله :

**(كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله (ﷺ))**  
ومن نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقباء مسجداً يصلون فيه والقبلة يومئذ إلى بيت المقدس فلما قدم رسول الله (ﷺ) إلى قباء صلى بهم فيه) . وهو أول مسجد بني للمسلمين في المدينة وصلى بهم رسول الله (ﷺ) بأصحابه جماعة<sup>(3)</sup> ، وقد أورد الطبراني<sup>(4)</sup> أيضاً الروايات التي اختلفت في مسجد التقوى ، فيذكر في رواية عن قتادة إن النبي (ﷺ) سأل أهل قباء ، إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الظهور بما تصنعون قالوا : إنا نغسل عنا اثر الغائط والبول بالماء ، كما في قوله تعالى في سورة التوبة ، الآية : 108 :

**ٰلَا تَقْمِ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أَسْسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ۝ .**

وأورد أيضاً الروايات التي تذكر أن مسجد المدينة هو مسجد التقوى ، وقد رجح الطبراني<sup>(5)</sup> ، أن المراد بمسجد التقوى هو مسجد الرسول (ﷺ) مستنداً إلى رواية سهل بن سعد قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله في المسجد الذي أسس في التقوى فأتي رسول الله فسألاه فقال هو مسجدي هذا ، ويدعى ابن

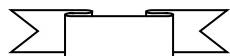
<sup>1</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/494 ; ابن خياط ، تاريخ ، 1/12 .

<sup>2</sup> (? ) فتوح البلدان ، ص 2 ، 9 .

<sup>3</sup> (? ) السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/250 .

<sup>4</sup> (? ) تفسير الطبراني ، 29-11/30 .

<sup>5</sup> (? ) تفسير الطبراني ، 25-11/28 .



حيان<sup>(1)</sup> في صحيحه إلى ما ذهب إليه الطبرى وهو أن مسجد التقوى هو مسجد الرسول ، ويذكر السمهودي<sup>(2)</sup> رواية مختلة عن عمار بن ياسر : أن الرسول (ﷺ) هو الذي وضع أول حجر عند تأسيس مسجد قباء وهو الذي امتدحه (ﷺ) وامتدح المصليين فيه ، ويذكر البخارى<sup>(3)</sup> أن الرسول (ﷺ) كان يحب أن يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً فيصلى فيه ، ويذكر السمهودي<sup>(4)</sup> أيضاً رأياً معتدلاً وهو رأى الجمهور قال فيه : أراد الله بمسجد أسس على التقوى هو مسجد قباء ولا ينافي قوله (ﷺ) لمسجد المدينة **(هو مسجدكم هذا)** إذ كل منها أسس على التقوى ، أما ابن كثير<sup>(5)</sup> فيذكر : أن مسجد قباء هو مسجد التقوى وقد استند في رأيه إلى رواية عن أبي هريرة (ﷺ) : أن الآية هذه نزلت في أهل قباء **(فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين)** .

وقد ذكرنا هذه الرواية عن قتادة عندما سأله الرسول (ﷺ) أهل قباء إن الله أحسن عليهم الثناء في الظهور فماذا يصنعون ؟ ، وكذلك في رواية أن جبرائيل (ﷺ) هو الذي أشار على النبي (ﷺ) في موضع قباء كما ذكرنا عن رواية عمار بن ياسر ، فكان أول مسجد بني في الإسلام .

إذن يمكننا أن نستنتج من رواية البلاذري وابن كثير ورواية السمهودي أن مسجد قباء هو مسجد التقوى نفسه أما مسجد الضرار التي جاءت قصة بنائه في القرآن الكريم والذي قورن بمسجد التقوى . والذي حرم القيام فيه كما في سورة التوبه الآية : 106 : **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً صِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلٍ وَلِيَخْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْخُسْنَى وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**

ويذكر البلاذري<sup>(6)</sup> ، أن سعد بن خيثمة بني مسجد قباء وكان موضعه اللبة تربط فيه حمارها ، فقال أهل الشقاق وكانوا اثنا عشر رجلاً من المنافقين نبني مسجداً يضارون به مسجد قباء ،

<sup>1</sup> (?) محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي ، (ت354هـ) ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق: شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت-1993)، ج4 ، ص482 .

<sup>2</sup> (?) وفاء الوفا ، 1/251 .

<sup>3</sup> (?) صحيح ، 10/398 ; وفي رواية عن أبي هريرة (ﷺ) ؛ ينظر ، التويري ، نهاية الإرب ، 1/320 .

<sup>4</sup> (?) وفاء الوفا ، 1/251 .

<sup>5</sup> (?) البداية والنهاية ، 3/209 .

<sup>6</sup> (?) فتوح البلدان ، ص9-10 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3/209 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/251 .



وتكبر هؤلاء المنافقون وقالوا لا نسجد في موضع كان يربط فيه حمار لبنة ، ولكننا نتخذ مسجداً نصلي فيه حتى يجيئنا أبو عامر<sup>(\*)</sup> فيصلني بنا فيه ، وكان الرسول (ﷺ) يستعد للخروج إلى غزوة تبوك<sup>(١)</sup> ، فلم يلبِ مطلبهم فأنزل (ﷺ) تلك الآيات المذكورة فنهاه (ﷺ) أن يصلِّي فيه .

اما عن بناء مسجد الرسول في المدينة ، وهو المسجد الذي قال عنه الرسول (ﷺ) :- إن الصلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام<sup>(٢)</sup> ، والذي قال فيه : (ثم لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا) <sup>(٣)</sup> ، وصلَّى الرسول الكريم (ﷺ) إلى المدينة بعد خروجه من قباء ، وكان سكان الأحياء المختلفة يمسكون بزمام ناقته ويرجونه أن يتراحل للإقامة بينهم ، فكان يجيبهم قائلاً :-

**(خلو سبيلها فإنها مأمورة)** <sup>(٤)</sup> ، حتى إذا أتت الناقة دار ببني مالك بن النجار بركت في مربد<sup>(\*)</sup> ونزل رسول الله (ﷺ) عن الناقة وحمل أبو أيوب الأنصاري رحله فوضعه في بيته واستضاف النبي في داره - وكلمه الأنصار في النزول عليهم فقال : المرأة مع رحالة<sup>(٥)</sup> ، ثم اشتري الرسول (ﷺ) المريد بعشرة دنانير وأمر أن يبني في مكانه مسجداً للمسلمين<sup>(٦)</sup> ، وكان هذا أول عمل قام به الرسول بعد وصوله للمدينة أي في السنة الأولى

(\* ) أبو عامر : الفاسق كما اسماه النبي (ﷺ) ، وكان يسمى أيضاً بالراهب قبل لأنَّه ترهب وكان شديد العداوة للنبي (ﷺ) حسداً وعنداداً لذهب رياسته التي كانت في الاوس قبل هجرة النبي (ﷺ) للمدينة ، فقال للمنافقين انتظروني فسأني بقيصر وأنتم بجند فخرج محمد وصحبه ، وكان على رأس المنافقين ، وله بني مسجد ضرار ، ويعني الارصاد : الترقب . ينظر: ابن قتيبة ، المعارف ، ص 343 ؛ الجصاص ، أبو بكر احمد بن علي الرازي (ت 370هـ) ، أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية (بيروت- د.ت) ، ج 3 ، ص 21 .

<sup>١</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 11/23 .

<sup>٢</sup> (?) البخارى ، صحيح ، 1/398 ، في رواية عن أبي هريرة (ﷺ) ؛ التوپرى ، نهاية الإرب ، 1/320 .

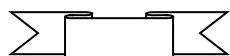
<sup>٣</sup> (?) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، 495-4/496 .

<sup>٤</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/495 .

(\* ) المريد : الموضع الذي يجفف فيه التمر ، وكان لغلامين يتيمين في بني النجار . ينظر: اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، 1/31 .

<sup>٥</sup> (?) المصدو ، نفسه ، 1/31 .

<sup>٦</sup> (?) السحاوى ، التحفة اللطيفة ، 1/15 .



من الهجرة<sup>(1)</sup> ، وعمل بيده الطاهرة ليرغب المسلمين في العمل وكان يقول ويتردد معه المسلمون (لا عيش إلا عيش الآخرة\*\* اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة)<sup>(2)</sup> .

وبني إلى جانبه منزله الذي انتقل إليه بعد سبعة أشهر قضاها في ضيافة أبي أيوب الأنباري ، وبني المسجد باللبن ورفع أساسه بالحجارة ثلاثة ذراع عن الأرض ، وسقف بالجريدة وجعل عمدته جذوعاً<sup>(3)</sup> طوله مما يلي القبلة إلى مؤخرة مائة ذراع<sup>(\*\*)</sup> ، مربع الشكل وجعلوا قبنته إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب<sup>(4)</sup> . وقد جاء في القرآن الكريم عن عمارة المسجد كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهُ...﴾<sup>(5)</sup>

وبني حول المسجد بيوتاً لأزواج النبي<sup>(6)</sup> ، من اللبن وسقفها بجذوع النخل والجريدة<sup>(7)</sup> ، وقد جاء ذكر حجرات زوجات الرسول (ﷺ) في كتابه العزيز <sup>:</sup>  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادِوْنَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَّارَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(8)</sup>

وأمر (ﷺ) بصرف القبلة نحو المسجد الحرام في شعبان بعد هجرة الرسول إلى المدينة بسنة وخمسة أشهر ، وقيل بسنة ونصف ، وقيل بعد ثمانية عشر شهراً من مقدمه إلى المدينة<sup>(9)</sup> ، أي في السنة الثانية للهجرة ، أمر (ﷺ) بتحويل القبلة في قوله تعالى : ﴿فَقَدْ تَرَى تَعْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّيكَ قِبْلَةَ تَرَصَّاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطَّبِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَبْتَ مَا كُنْتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطَّرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ

<sup>1</sup> (? ) العيدروسي ، النور السافر ، ص 9.

<sup>2</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، 1/496 ; ابن سعد ، الطبقات ، 1/240.

<sup>3</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 1/239 ; الطبرى ، تاريخ ، 2/396.

<sup>4</sup> (\*\* ) الذراع : وهو اليد ويراد بها ما يذرع به ويقاس مثل ذرع الثوب وغيره من باب قطع . ينظر : الرازي ، مختار الصحاح ، ص 221 .

<sup>5</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 240-1/239 .

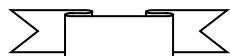
<sup>6</sup> (? ) سورة التوبة ، من الآية : 18 .

<sup>7</sup> (? ) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، 1/196 .

<sup>8</sup> (? ) عبد الهادي ، يوسف ، ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، محمد سعد أطلس ، ج 3 ، ص 166 ، المعهد الفرنسي ، (دمشق-1943) ; فكري احمد ، المسجد الجامع بالقironان ، مطبعة المعارف ، مصر-1936 ، ص 46 .

<sup>9</sup> (? ) سورة الحجرات ، الآية : 4 .

<sup>9</sup> (? ) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ص 30 .



**لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**

حيث كانت الكعبة المشرفة أحب القبلتين إلى رسول الله فكان تطلعه إلى السماء سائلاً الله تعالى بتحويلها إلى بيت الله الحرام حيث الأهل والحنين<sup>(1)</sup>.

وقالت اليهود إن الرسول<sup>(2)</sup> بعد تحويل القبلة انه ابتدع ذلك فكان رده<sup>(3)</sup> أنهم يعلمون (**اليهود والنصارى**) أن تحويل القبلة حق وبأمر من الله ، فهي قبلة النبي إبراهيم<sup>(4)</sup> وهذه قبلة حق<sup>(5)</sup>.

ولبناء المسجد أهمية كبيرة يمكن إجمالها بما يلي :-  
أولاً : انه مكان يجتمع فيه المسلمون لتأدية فريضة الصلاة ولتلقي التعاليم الدينية .

ثانياً : ولبناء المسجد أهمية كبيرة فقد ضرب الإسلام في المدينة أول قاعدة نحو الوحدة الاجتماعية فهو المركز الرئيس لقيادة المسلمين حيث تنطلق منه رايات الجهاد ، وكانت معظم القرارات والتعليمات التي تصدر عن الرسول<sup>(6)</sup> تلقى من على منبره<sup>(7)</sup>.

ثالثاً : كان بمثابة دار الندوة للجماعة الإسلامية تبحث فيه شؤون المسلمين

العامة<sup>(8)</sup> ، وفيه يتم التعليم ، وقد كان المدرسة الأولى في الإسلام وفيه يلتقي رسول الله<sup>(9)</sup> بوفود العشائر والقبائل وفيه تعقد الاتفاقيات .

رابعاً : ويدرك أن المسجد كان مأوى لمن لا مأوى له مثل أهل الصفة<sup>(\*)</sup> فهو لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والليلة الشاتية<sup>(10)</sup> .

<sup>1</sup> (? ) سورة البقرة ، الآية : 144 .

<sup>2</sup> (? ) الواهدي ، الوجيز ، 1/136 .

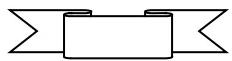
<sup>3</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 2/19 .

<sup>4</sup> (? ) البوطى ، محمد سعيد ، فقه السيرة ، ط 1 ، مكتبة الشرق الجديد ، (بغداد-1990) ، ص 152-153 .

<sup>5</sup> (? ) الفراجى ، عدنان علي ، الحياة الفكرية في المدينة المنورة في القرنين الأول والثانى للهجرة ، الموسوعة العلمية ، العدد 28 ، (بغداد-2002) ، ص 23 .

<sup>\*</sup> (\*) وهم جماعة من أصحاب الرسول<sup>(11)</sup> من فقراء المسلمين المهاجرين وقد بني لهم الرسول ظله في مؤخرة مسجده في الجهة الشمالية يأوي لها المساكين من لا مأوى لهم تعرف بالصفة وتحت القرآن الكريم بالصدق عليهم . ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، 1/255 ؛ ابن شبة ، تاريخ المدينة ، 1/264 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 2/453 .

<sup>6</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 23-11/22 .



## المؤاخاة :-

لقد وضع رسول الله (ﷺ) نصب عينيه منذ وصوله إلى المدينة إزالة عوامل الفرقة والعداوة بين الأوس والخزرج من أجل بناء مجتمع جديد متماسك ، ولم يجد أفضل من مبادئ الإسلام من حب وخير ومساواة وعدل وان يحب الإنسان أخيه الإنسان ما يحبه لنفسه ، فيذكر ابن سعد<sup>(1)</sup> أن أول خطوة اتخذها الرسول (ﷺ) في المدينة حثهم على التعاطف والتراحم قائلاً لهم : - (يَا أَيُّهَا النَّاسُ افْشِلُوا السَّلَامَ وَأَطْعُمُوا الطَّعَامَ وَصُلُوا الْأَرْحَامَ وَصُلُوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) .

لهذا نراه جمع الأوس والخزرج تحت اسم واحد وهو الأنصار ، ذلك لأنهم أتوا ونصروا الرسول والمهاجرين وصدقوا الله ورسوله ما وعدوه في بيعة العقبة .

وقد أطلق عليهم (ﷺ) هذه التسمية في كتابه العزيز في أكثر من آية<sup>(2)</sup> ، وكذلك دعاء الرسول لهم عند بناء المسجد (اللَّهُمَّ ارْحِمْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ) <sup>(3)</sup> .

1- ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الأنصار كما في قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْفَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْصُهُمْ أَوْلَيَاءُ**

**بَعْضٌ . . . (سورة الأنفال : من الآية : 72) .**

**2- وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوْفَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (سورة الأنفال : الآية 74) .**

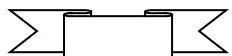
**3- وَالسَّابِقُونَ أَلَّا يُؤْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخُسَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ (سورة التوبة: من الآية 100) .**

لقد ذكر (ﷺ) في كتابه العزيز انه على المسلمين أن يتوحدوا ولا يتفرقوا بالتمسك بحبل الله وهو الإسلام والقرآن الكريم وان لا يتفرقوا عن دين الله وبالائتلاف والاجتماع على طاعة الله ورسوله ، وقد حذرهم ونهائهم من الفرقة والنعمـة التي أنعمـها الله على

<sup>1</sup> (? ) الطبقات ، 1/235 ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، 1/193 .

<sup>2</sup> (? ) السمعاني ، سعد عبد الكريم بن منصور ، (ت 562هـ) ، الانساب ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمـي الـيمـاني ، ط 1 ، مطبـعة دائـرة المعارـف العـثمانـية ، (حـيدـر آبـاد الدـكـنـ 1962) ، ص 259 .

<sup>3</sup> (? ) ابن هـشـام ، السـيرة ، قـ 1/194 .



ال المسلمين هي المؤاخاة<sup>(1)</sup> والرحمة هي الإسلام الذي أنقذكم به من طرف جهنم عندما كنتم على الكفر قبل الإسلام وقد تمثل ذلك في قوله تعالى في سورة آل عمران الآية : 103 :

**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَغْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَضْيَخْتُمْ بِنِعْمَتِهِ أَخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ التَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذِلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَذَّدُونَ۔**

وقد سبق ذلك خطوة قام بها رسول الله (ﷺ) في مكة قبل الهجرة كما تورد الروايات فقد أخا بين الصحابة في مكة على الحق والمواساة<sup>(2)</sup> ولم تتعدي ذلك<sup>(\*)</sup>.

وذلك للتغلب على الظروف الصعبة التي مر بها المسلمين في مكة وخاصة الضعفاء منهم لإشاعة روح المحبة والتآلف بين أصحاب الرسول (ﷺ)، أما المؤاخاة التي جرت في المدينة والتي بدأ تنظيمها في السنة الأولى للهجرة بعد خمسة أشهر أو ثمانية من مقدم رسول الله (ﷺ) المدينة<sup>(3)</sup>.

وبعد بنائه المسجد ، بل إن هناك رواية تذكر أن المؤاخاة كانت قد تمت والمسجد يبني<sup>(4)</sup> ، على أن المتفق عليه إن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت قبل معركة بدر حيث دعا الرسول (ﷺ) أصحابه من المهاجرين والأنصار إلى اجتماع في مسجد المدينة وحدد فيه نخبة من المسلمين ، ويذكر ابن سعد<sup>(5)</sup> إنهم كانوا تسعين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، وفي رواية أخرى

<sup>1</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 380-4/383 .

<sup>2</sup> (?) ابن حبيب ، المحبر ، ص 70-71 ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، 1/264 .

(\*) لهذا نرى إن أبو بكر الصديق (ﷺ) اشتري سبعة من أرقاء المسلمين واعتقهم ومنهم بلال الحبشي وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه حمامه ، وكان صادق الأيمان ، وكان أمية بن وهب يعذبه إذا حميت الطهيرة برمضان مكة (الأرض والحرارة الشديدة الحرارة) يلسقون ظهره بالرمضان ليشرك بالله فيقول أحد أحد ، فيمر عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك فيقول أحد أحد يابلال والله لثن قتيلوه لأنخذنهه حنانا ، أي لا تمسحن به ، ويذكر أن بلال كان عبداً لجارية من بني جمج بن عمرو . ينظر: ابن هشام ، السيرة ، ق 1/317 ؛ ابن بكار ، الزبير بن بكار ، (ت 256هـ) ، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق: محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، (القاهرة-1381هـ) ، ج 1 ، ص 412 .

(?) السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/97 .

(?) ابن عبد البر ، الدرر ، ص 96 .

(?) الطبقات ، 1/238 .



تذكر أن جملتهم ثلاثمائة<sup>(6)</sup> ، ويبدو أن هذا العدد مبالغ فيه ، لأن المراجع المتقدمة لم تذكره .  
وتذكر الروايات أنهم كتبوا في أمر المؤاخاة كتاباً في دار انس ، وان الرسول قد بين لهم أثناء ذلك الاجتماع ، انه اصطفاهم وأحب أن يؤخني بينهم<sup>(1)</sup> .  
وقد كان استقبال الأنصار للمهاجرين بروح من الكرم البالغ والترحاب وقد روعي في توزيعهم الأساس العشائري بحيث يبقى مجموعه أفراد العشيرة الواحدة في مكان واحد وينزلوا على شخص واحد<sup>(2)</sup> .

وعلى الرغم من فقر الأنصار إلا أنهم أظهروا كرماً ومحبة بالغة لإخوانهم من مهاجري مكة وكفوفهم مؤونة الحياة وقادموهم طعامهم ومساكنهم<sup>(3)</sup> .

وقد صور لنا القرآن الكريم هذا الكرم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأَيَمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْبِونَ مَنْ هَا جَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ سُحْنَ تَفْسِيرِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(4)</sup> .

إن نظام المؤاخاة نظام جديد لم تألفه المدينة من قبل ، فبعد أن كان الثار الهاجس الوحيد بين الاوس والخرج ، أصبح هؤلاء جميعاً من المهاجرين أخوة برابطة العقيدة وليس برابطة الدم واستجابة لنداء رسول الله ﷺ (تَأْخُوا فِي اللَّهِ أَخْوَيْنَ أَخْوَيْنَ)<sup>(5)</sup> ، ويدافع روح الإسلام التي جاء بها القرآن الكريم في حد المؤمنين أن يكونوا كالإخوة في التناصر والتحاب والتضامن والتعاون في اليساء والضراء<sup>(6)</sup> ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(7)</sup> .

<sup>6</sup> (?) الحلبي ، علي بن ابراهيم بن احمد ، (ت 1044هـ) ، إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون (السيرة الحلبية) ، (القاهرة-1962م) ، ج 2 ، ص 96-97 ؛ الطيالسي ، سليمان بن داود الفارسي ، (ت 204هـ) ، مسند الطيالسي ، دار المعرفة ، (بيروت- د.ت) ، ص 349 .

<sup>1</sup> (2) الحلبي ، السيرة الحلبية ، 97-2/96 .

<sup>2</sup> (?) الواقدي ، المغازى ، 1/378 .

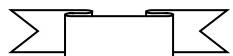
<sup>3</sup> (?) ابن شبة ، تاريخ المدينة ، 1/265 .

<sup>4</sup> (?) سورة الحشر ، الآية : 9 .

<sup>5</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، 1/505 .

<sup>6</sup> (?) النwoي ، ابو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي (ت 676هـ) رياض الصالحين وبنديله الفتح المبين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الديان ، (القاهرة-1986م) ، ج 1 ، هامش ص 134 .

<sup>7</sup> (?) سورة الحجرات ، من الآية : 10 .



وقوله تعالى : **إِنْ تَنَالُوا الْبَرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**<sup>(1)</sup> . . . ، بحيث إن ميراث الأنصارى يقول بعد وفاته إلى أخيه المهاجر ، بدلاً من ذوي رحمته<sup>(\*)</sup> ، حتى موقعة بدر ، حيث انتفت أسباب وجود المؤاخاة اقتصادياً واجتماعياً وذلك بعد استقرار المهاجرين وتحسن أوضاعهم المعيشية ، فنزل الوحي على الرسول الكريم للتخفيف من أعباء الأنصار بإلغاء ذلك كما في قوله تعالى : **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدٍ وَهَا جُرُوا وَجَاهُدُوا مَعَكُمْ فَأَوْلَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْصُهُمْ أُولَى بِعِصْمٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ**<sup>(2)</sup> .

ويبدو أن المؤاخاة كانت قربة أو مشابهة للنظام العربي القديم وهو نظام الحلف فقد جعل كل رجل من المهاجرين يؤخى رجلاً من الأنصار ، فيصير الرجلان أخوين بينهما من الروابط بين الأخوين من قرابة الدم الطبيعية وهكذا إذا مات أحدهم ورثه الآخر وهو نظام مؤقت<sup>(3)</sup> ، لم يطلق الرسول<sup>(4)</sup> على هذه العملية **(نظام المؤاخاة)** بالحلف لأن منزلة الحليف أقل من منزلة ابن الصريح من الصليبيه ، وان القبيلة تمن عليه حمايتها وترثه إذا مات وكذلك فان ديته نصف دبة ابن القبيلة ولا يقتل الصريح بالحليف فهو أقل مكانة منه<sup>(4)</sup> ، وأراد الرسول<sup>(4)</sup> بهذا النظام الجديد إقامة علاقة جديدة تقوم على المساواة والمؤاساة والتعاون والمحبة بين المهاجرين والأنصار ، لأنها كانت أخوة في الله وتلمس ذلك في قوله تعالى : **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاضْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ**<sup>(5)</sup> .

كان نظام المؤاخاة منسجماً مع روح الإسلام الجماعية والدعوة إلى نوع من الاشتراكية في المنافع العامة ، وما الخراج والزكاة والأخماس وغيرها سوى حقوق جماعية تشارك الجماعة

<sup>1</sup> (?) سورة آل عمران ، الآية : 92 . والبر من الله الذي يرجوه المؤمنون وهو الجنة بأن تنفقوا من مما تحبون من أموالكم ؛ الطبرى ، تفسيره ، 3/45 .

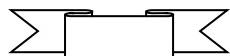
<sup>\*</sup> (\*) ذوى الأرحام ، هم الأقرباء الاباعد الذين ليس لهم سهماً مقدره من أصحاب الفروض التي فرضها<sup>(6)</sup> في الكتاب والسنة كالأم والأب والابن والابنة والأخوات والأخوان وغيرهم كما جاء في سورة النساء آياتي المواريث : 11-12 . ينظر: السرخسى ، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل ، المبسوط ، مطبعة السعادة ، (مصر-1324هـ) ، ج 29 ، ص 139 - 212 ، ج 30 ، ص 3 .

<sup>2</sup> (?) سورة الأنفال ، الآية : 75 .

<sup>3</sup> (?) الشريف ، مكة والمدينة ، ص 386-387 .

<sup>4</sup> (?) العسلى ، د. خالد ، نظام المؤاخاة في عهد الرسول ، مجلة دراسات الأجيال ، العددان الرابع والخامس (بغداد-1983) ، ص 36 .

<sup>5</sup> (?) سورة الحجرات ، الآية : 10 .



مع المالك في ملكيته الخاصة<sup>(1)</sup> ، والحديث المروي عن النبي (ﷺ) : **(إن المسلمين شركاء في ثلات : في الماء والنار والكلأ)**<sup>(2)</sup> ، والحديث المروي : **(إن الأشعريين<sup>(\*)</sup> إذا أرملاوا في الغزو ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم)**<sup>(3)</sup> ، يؤكdan الروح الجماعية في الإسلام ، ولعل ما فعله الأنصار في مساعدة المهاجرين فهي أدلة عملية لهذه الروح الجماعية على مستوى التطبيق<sup>(4)</sup> ، لم يكن تكيف المسلمين مع المجتمع الجديد والظروف الجديد في يثرب سهلاً فيذكر ابن هشام<sup>(5)</sup> : أن رسول الله (ﷺ) عند قدومه المدينة هو واصحابه أصابتهم حمى المدينة حتى جهدوا مرضًا ... حتى كانوا ما يصلون إلا وهم قعود ، فمناخ المدينة يتميز بالمطر الغزير يتختلف الماء وتتجمع في برك قريبة منها ، تتحول أحياناً إلى مستنقعات ، مسببة بعض الأمراض ، وقد تتسرّب بعض المياه الآسنة إلى بعض الآبار<sup>(6)</sup> .

وقد واجه المهاجرون بعض المشاكل الاجتماعية ، ذلك إن عادات وتقاليد مكة المجتمع التجاري تختلف عن مجتمع المدينة الزراعي بعاداته وتقاليمه .

وكذلك التغلب على الأزمة الاقتصادية التي عانى منها المسلمون في أول مقدمتهم للمدينة لأنهم تركوا متاعهم وأموالهم مهاجرين إلى الله ورسوله والعمل على تثبيت المثل الخلقية التي دعا لها الإسلام في مجتمع المدينة ، وحلت بالمؤاخاة رابطة العقيدة محل رابطة الدم التي فشلت في المدينة قبل الهجرة في

<sup>1</sup> (?) د. تحسين حميد مجيد ، المصادرات في العراق خلال القرنين الثالث والرابع الهجري طبعتها وآثارها السياسية والاقتصادية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة - جامعة بغداد - كلية الآداب ، (بغداد-1980) ، ص 71 .

<sup>2</sup> (?) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 187 ؛ ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، 2/826 .

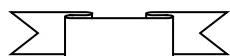
<sup>\*</sup> (\*) الأشعريون : قبيلة يمانية نسبة إلى الأشعري بن ادد اخو مذحج ومن أشرافهم أبو موسى الأشعري صاحب رسول الله (ﷺ) . ينظر: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 3/300 ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص 397-398 .

<sup>3</sup> (?) النووي ، رياض الصالحين ، 1/290 .

<sup>4</sup> (?) د. تحسين حميد ، المصادرات ، ص 71 .

<sup>5</sup> (?) السيرة ، ق 1/590 .

<sup>6</sup> (?) درويش ، محمد طاهر ، حسان بن ثابت ، دار المعارف ، (مصر- د.ت) ، ص 14 .



أن تؤلف بين الاوس والخزرج<sup>(1)</sup> ، ونرى أن القرآن الكريم قد صور المؤاخاة بين الأنصار وبين المهاجرين تصویراً دقيقاً كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدُعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِتَحْمِيرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وَالْفَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(2)</sup>  
أي ألف الله (ﷺ) بين قلوبهم بالأيمان وطاعتك<sup>(3)</sup> .

### الصحيفة :

بدأ سعي الرسول (ﷺ) لتحقيق ما يصح أن نسميه اليوم وحدة العرب وبسط سلطان الإسلام الديني والسياسي عليهم منذ الهجرة ، وقد تم ذلك على مراحل ، أهمها معاهدة المدينة وصلاح الحديبية وفتح مكة والتي ستكلم عليها تباعاً .  
حاول الرسول (ﷺ) منذ مقدمه إلى يثرب أن ينظم علاقته مع جميع الأطراف والقوى الموجودة في المدينة بوثيقة تضمن لهذه الأمة الإسلامية المصغرة مستقراً آمناً خالٍ من المنازعات والخلافات .

فكان لابد لهذه الدولة الناشئة من دستور تستند إليه في تنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن يعيشون معهم داخل هذه الدولة وأطرافها من جهة وبين المسلمين أنفسهم من جهة أخرى ، وتشتمل الصحيفة نحواً من خمسين مادة قانونية<sup>(4)</sup> .  
أما عن تاريخ كتابة هذه الصحيفة فأنا نجد اختلافاً كثيراً في تحديدها ، فابن إسحاق لم يذكر تاريخاً للصحيفة وإنما ذكرها بعد بناء المسجد وقبل أن يذكر المؤاخاة مما يدل على أن الصحيفة كتبت في الفترة بين الشهر الخامس والسابع للهجرة<sup>(5)</sup> ، بدليل أن أحد فقرات الصحيفة تذكر : ( وَانْ كُلَّ غَازِيَةَ غَزَتْ يُعْقِبُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا )<sup>(6)</sup> وهي إشارة صريحة على وجود عدد من الغزوات والسرايا قبل هذه الفترة أو إنها كانت بعد أن أذن بالقتال .

<sup>1</sup> (؟) العسلى ، المؤاخاة ، ص 32 .

<sup>2</sup> (؟) سورة الأنفال ، الآية : 62-63 .

<sup>3</sup> (؟) ابن كثير ، تفسيره ، 2/323 .

<sup>4</sup> (؟) الملاج ، الوسيط ، ص 199 .

<sup>5</sup> (؟) ابن سلام ، أبو عبد القاسم ابن سلام البغدادي الهروي (ت 224هـ) ، الأموال ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، المكتبة الطاهرية ، (دمشق-1347هـ) ، ص 203 .

<sup>6</sup> (؟) المصدر نفسه ، ص 203 .



**ويورد الطبرى<sup>(1)</sup> أن الرسول (ﷺ) عقد لأول سرية للمسلمين على رأس سبعة أشهر من مهاجرته ، لحمزة بن عبد المطلب للتعرض إلى غير قريش<sup>(2)</sup> . وهذه إشارة يمكن من خلالها تقدير تاريخ إعلان الصحيفة بين خمسة إلى سبعة أشهر أو تكون بعدها شهر من مقدم الرسول (ﷺ) إلى المدينة ووجود إشارة ضمنية أخرى نستطيع من خلالها تقدير الفترة الزمنية أي بين الشهر الخامس والسابع وقد يكون الثامن وذلك من خلال ما أورده ابن سلام<sup>(3)</sup> ، حيث قال : (إن هذا الكتاب كان فيما نرى ، كان قد حدث عند مقدم رسول الله (ﷺ) المدينة ، قبل أن يظهر الإسلام ويقوى وقبل أن تؤمر بالجزية من أهل الكتاب) ، وهناك إشارة أخرى ضمنية أوردها الطبرى<sup>(4)</sup> ، نستطيع من خلالها تأكيد التقدير الأول ، حيث ذكر إنها كانت قبل معركة بدر : (وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها) ، فعبارة حين : تعني الأشهر الأولى من مقدم الرسول (ﷺ) المدينة ، ويرى المستشرق مونتجومري وات<sup>(5)</sup> ، أن الوثيقة لم تكن صحيفه واحدة وإنما عدة أجزاء ولم تعقد في تاريخ واحد ، وان الجزء الأول من الصحيفه كان قد عقده الرسول مع قبائل المدينة في بيعة العقبة الثانية أو النقباء مع الرسول (ﷺ) بعد الهجرة ، وهذا شيء مستبعد ، ففي بيعة العقبة الثانية عندما بايع الانصار الرسول الكريم على أن يحموه ويؤازروه عند هجرته إلى المدينة ولم تكن الظروف والتطورات قد سمحت بذلك ، ولكن بعد استقرار الرسول وإطلاعه عن كثب على مجريات الأحداث وعن العلاقات في المدينة والظروف داخل المدينة وخارجها والقوى المؤثرة وعلاقتها وموقف قريش في مكة من الرسول والمهاجرين في المدينة واليهود وتأثيراتهم ، لهذا دعت الحاجة إلى إصدار مثل هذه الوثيقة والصحيفه لتنظيم شؤون الدولة الجديد في المدينة ، ولعل دولة الرسول (ﷺ) في المدينة باعتمادها على دستور مكتوب وهي بداية تأسيسها كانت سابقة لم تالفها الدول آنذاك ، لأنه من المعروف في تكوين الدول أن تقوم الدولة أولاً ثم يتطور أمرها فيما بعد إلى وضع دستور لها<sup>(6)</sup> .**

<sup>1</sup>) تاريخ ، 2/402 .

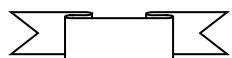
<sup>2</sup>) الطبرى ، تاريخ ، 2/402 .

<sup>3</sup>) الأموال ، ص 207 .

<sup>4</sup>) تاريخ ، 2/479 .

<sup>5</sup>) محمد في المدينة ، ص 343 .

<sup>6</sup>) الشريف ، مكة والمدينة ، ص 387 .



ويبدو أن قبائل اليهود الكبرى الثلاثة في المدينة لم تكن في البدء منظمة إلى هذه الصحيفة ، وإنما كانت مقصورة على البطون الصغيرة المتحالفه مع قبائل الاوس والخزرج ولكن على الرغم من ذلك فقد وضع بند عام يتيح المجال لدخول اليهود في هذا الحلف احتمالاً لما قد يحدث من الأحداث وفعلاً أحقت هذه القبائل في محالفات ملحقة<sup>(1)</sup> فيما بعد ، وقد وصلتنا صيغة ونصوص الصحيفة في سيرة ابن هشام<sup>(2)</sup> بواسطة ابن إسحاق ، وجاء فيها أن الرسول (ﷺ) كان قد كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم واقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط واشترط عليهم . ونص الصحيفة (هذا كتاب من محمد النبي (ﷺ) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويشرب ومنتبعهم فلحق بهم وجاحد معهم أنهם أمة واحدة من دون الناس)<sup>(3)</sup> ، ومن الأمور التي كانت ملفتة للنظر في هذه الوثيقة أن الرسول (ﷺ) قد جعل الطرف الأول المهاجرين وجعل الطرف الثاني الأنصار من الاوس والخزرج والطرف الثالث اليهود في المدينة فوادعهم وكذلك المشركين ومن لم يسلموا من بطون الاوس ، وأورد ابن إسحاق<sup>(4)</sup> عدة ألفاظ في تعليقه على الصحيفة تشير إلى أنها معايدة منها : عاهد ، وادع ، أمر ، اشترط ، وشرط ، أي إن الرسول (ﷺ) قد جعل نفسه فوق كل هذه الأطراف لكونهنبي هذه الأمة الإسلامية ، ورئيساً للدولة ، أي له مكانة متقدمة على رأس جميع القوى والأقطاب الموجودة في المدينة ، بحيث تعطيه صلاحيات لإصدار هذا الكتاب أو القانون ، ولم يقل كتاب بن محمد واليهود أو بين أي طرف من الأطراف السابقة المذكورة ، وقد جاء في القرآن الكريم عدة إشارات تشير إلى أن هناك عهوداً ومواثيق بين الرسول واليهود منها كما في قوله تعالى :

## ١- ﴿أَوْكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا تَبَذَّهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ...﴾<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> (? ) الشريف ، مكة والمدينة ، ص 294 .

<sup>2</sup> (? ) السيرة ، ق 1/501 .

<sup>3</sup> (? ) المصدر نفسه ، ق 1/501 ؛ ابن سلام ، الأموال ، ص 202-207 ؛ النسائي ، احمد بن شعيب (ت 303هـ) ، السنن الكبرى ، ط 1 ، تحقيق: د. عبد العفار سلمان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-1991) ، ج 4 ، ص 220 .

<sup>4</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 501-1/504 .

<sup>5</sup> (? ) سورة البقرة ، من الآية : 100 .



2- إِنَّ شَرَ الدُّوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ<sup>(1)</sup> .

والملخص هنا في الآيتين هم اليهود ، وما كان إجلاء الرسول (ﷺ) اليهود من بني قينقاع والنضير وقريطة إلا لنقضهم لهذه العهود والمواثيق التي في صحيفه المدينة<sup>(\*)</sup> ، وهناك بنددين في الصحيفه تشير إلى كونه على رأس الدولة وبهذه جميع السلطات الدينية والسياسية (وَإِنْكُمْ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنْ حَكْمَهُ إِلَىٰ تَبَارِكَ وَتَعَالَىٰ وَإِلَى الرَّسُولِ<sup>(2)</sup>) ، ثم تأتي الفقرة الثانية لتأكيد سلطة الرسول في المدينة بدون منازع وهو (أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِّنْهُمْ إِلَّا بِأَذْنِهِ<sup>(3)</sup> ، أي أن الرسول (ﷺ) له السلطة بهذه الدولة والأمة وكل من تبعها ، أي قبل بشرطها وقوانينها من غير المسلمين في المدينة والمناطق المحيطة بها .

وتعتبر الصحيفه أول وثيقة سياسية متعددة الأطراف تقر مبدأ جواز الانضمام إليها بعد توقيعها ، وان كان هذا المبدأ قد أصبح اليوم من المسلمات في الفقه الدولي وتسمى بالمعاهدات المفتوحة<sup>(4)</sup> .

ونرى ذلك من خلال ذكر الصحيفه البطون الخمسة الكبرى للخرج<sup>(5)</sup> ، وهذا يمثل بحد ذاته واقع المدينة ، فان بطون الخرج كلها دخلت في دولة الإسلام حتى من كان منهم منافقاً أو دخل الإسلام ظاهرياً ، أما بطون الاوس فلم يدخل منها في الإسلام إلا بنو عمرو بن عوف وهم أهل قباء ، وبنو النبيت مدمجة باسمها العام ، حيث كانت تسمى (اووس الله)<sup>(6)</sup> .

اما اليهود فمن ضمن واجباتهم التي تضمنتها الصحيفه ، كونهم من ضمن الأمة وان كانوا لا ينتمون إليها انتماً وثيقاً كالهاجرين والأنصار ، ولذلك لم تكن عليهم الواجبات نفسها وليس لهم الحقوق نفسها والحقوا بها بسبب تحالفهم مع الاوس والخرج ، وقد أورد القرآن الكريم إشارة ضمنية لهذه المحالفات في قوله تعالى : إِنَّمَا أَنْهَنَا مِنْ أَنْتَ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ

<sup>1</sup> (؟) سورة الأنفال ، الآية : 55-56 .

<sup>2</sup> (\*) وسنذكر ذلك بالتفصيل في فصل الصراع مع اليهود .

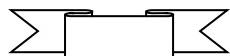
<sup>3</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/501 .

<sup>4</sup> (؟) المصدو ، نفسه ، ق 1/501 .

<sup>5</sup> (؟) د. محمد سليم القوا ، بحث في ، ندوة النظم الإسلامية ، 1/66 .

<sup>6</sup> (؟) ابن سلام ، الأموال ، ص 203-206 ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، 1/ 197-198 .

<sup>7</sup> (؟) الشريف ، مكة والمدينة ، ص 395 .



وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ تُمَّ أَفْرَزُتُمْ وَأَنْتُمْ  
تَشَهُّدُونَ ، ثُمَّ أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ  
فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْأَنْتِمْ  
وَالْعُذْوَانَ . . . <sup>(1)</sup>

ثم أثبتت بها محالفات خاصة وقد اقرهم الرسول على  
دينهم وأموالهم وبذلك كانت حرية المعتقد التي ضمنها دستور هذه  
الدولة الجديدة كما في قوله تعالى :

- 1- ﴿ لَا إِكْرَاهٌ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ  
يَكْفُرُ بِالْمَطَاعُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
الْوُتْقَى لَا انْفَضَامٌ لَهَا وَإِلَلَهُ سَمِيعٌ عَلِيهِمْ <sup>(2)</sup> ﴾
- 2- ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ  
مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ <sup>(3)</sup> ﴾ .

وحريه العقيدة التي نص عليها دستور المدينة ، لا يمنع جميع  
الأطراف من نصرة المسلمين ضد أي اعتداء خارجي وعليهم أيضاً  
أن ينفقوا مع المؤمنين ماداموا محاربين <sup>(4)</sup> .

ولابد لنا ونحن نتناول هذه الوثيقة أن نقف على عبارة وردت  
فيها ملقة للنظر وهي : (إنهم أمة واحدة دون الناس) <sup>(5)</sup> ،  
وهنا قصد المسلمين ، وهذا المصطلح لم تألفه العرب ، وكلمة أمة  
: وردت في معاجم اللغة العربية بمعاني مختلفة منها : الإمة :  
وهي الحاله والأمة : وهي (الشرعه والدين وهي مثل السننه)  
<sup>(6)</sup> ، فكان النبي إبراهيم <sup>(7)</sup> أمة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ  
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَمَّةً فَانِتَ لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ <sup>(7)</sup> ﴾ .

<sup>1</sup> (?) سورة البقرة ، الآية : 84 ، ومن الآية : 85 ، وهي إشارة إلى  
محالفات اليهود فريق منهم مع الاوس وفريق منهم مع الخزرج في  
الحروب الدائرة بين الاوس والخزرج ، وسنذكر ذلك مفصلاً في الباب  
الثاني ، موضوع اليهود ، ص 173.

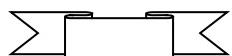
<sup>2</sup> (?) سورة البقرة ، الآية : 256 .

<sup>3</sup> (?) سورة آل عمران ، الآية : 84 ؛ سورة البقرة ، الآية : 136 .  
<sup>4</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 503-1/502 ، الشريف ، مكة والمدينة ، ص  
294 .

<sup>5</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/501 .

<sup>6</sup> (?) ابن منظور ، لسان العرب ، 12/24 .

<sup>7</sup> (?) سورة النحل ، من الآية 120 .



ووردت أيضاً بمعنى : (**النعم والملك والدين**)<sup>(1)</sup> ، والامة بالضم العامة والجمع منها أمم كمل في قوله تعالى : **إِنَّا أَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أُنْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ**<sup>(2)</sup> . والشعب هنا بمعنى الأمة<sup>(3)</sup> .

وأم الشيء أصله وتأتي بمعنى أتباع النبي<sup>(4)</sup> ، وقرب المعاني لمصطلح الأمة في الصحيفة هي الجماعة الواحدة التي على شرعة ودين واحد ، وأتباع النبي سواء آمنوا به أم لم يؤمنوا ، وهي كيان اجتماعي أيضاً ، وقد ورد مصطلح الأمة في القرآن الكريم مقرونة بالعقيدة عامه والتوحيد خاصة ، وقد صور لنا القرآن الكريم امة الإسلام خير تصوير في قوله تعالى : **إِنْ كُنْتُمْ خَيْرًا أَمَّا أُخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا فِي وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**<sup>(5)</sup> .

وتذكر بعض الروايات المقصود هنا المؤمنين ، وروايات أخرى تذكر بان المقصود بخير امة هم العرب لأنهم كانوا أكثر الأمم استجابة للإسلام ولأنهم أول من آمن وهاجر وحمل لواء الإسلام<sup>(6)</sup> ، ولأن الإسلام في أيام الرسول كان مقتراً على العرب وعلى الجزيرة العربية فكل المسلمين هم من العرب ، هذا إذا استثنينا بعض من اسلم من العجم بعدد أصابع اليد .

ولذلك كان الإسلام في أيام الرسول مرادف للعروبة ، ويذكر أن مصطلح الأمة قد ورد في (64 آية)<sup>(7)</sup> ، وربما قصد بذلك ورودها بمعانيها المختلفة ولكن إحصاء الآيات التي وردت بمصطلح الأمة بالمعنى الذي ورد في الصحيفة نجدها وردت في خمسين موضع فقط في القرآن الكريم مضافاً إليها موضعين جاءا بصيغة الجمع (**أَمْتَكُمْ - فَيَصِحُّ الْمُجْمُوعُ = 52 آية** وردت في

<sup>1</sup> (?) الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (ت 817هـ) ، القاموس المحيط ، دار الفكر ، (بيروت-1983) ، ج 4 ، ص 76 .

<sup>2</sup> (?) سورة الحجرات ، الآية : 13 .

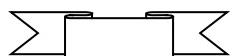
<sup>3</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 138/26-140 .

<sup>4</sup> (?) المقرى ، احمد بن محمد بن علي الفيومي ، (770هـ) ، المصباح المنير ، المكتبة العلمية ، (بيروت- د.ت) ، 1/23 .

<sup>5</sup> (?) سورة آل عمران ، من الآية : 110 .

<sup>6</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 4/391 ؛ معروف ، أصالة الحضارة العربية ، 9/26 .

<sup>7</sup> (?) الملاح ، الوسيط ، ص 203 .



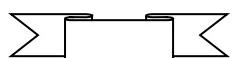
**القرآن الكريم<sup>(\*)</sup>** ، وكذلك من بنود الصحيفة : **(وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس)<sup>(1)</sup>** .

أي أولياء كما جاء في قوله تعالى : **『وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الرِّزْ�َأَمْ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ سَيِّرَ حَمْهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ』<sup>(2)</sup>**

ويرى المتصفح لوثيقة المدينة أن الجماعة القائمة على أساس الدين (**المسلمون**) غلت على تلك الجماعات القديمة القائمة على أساس رابطة الدم (**القبائل والبطون والعشائر**) في الجماعة الكبرى الجديدة وتعهد باختصاصاتها كوحدة قبلية إلى الدولة ، وابقي لها كل ما من شأنه أن يحفظ على الناس الروابط فيما بينهم ، فابقى لرؤسائها الديات والغرم ، والجميع مسؤول عن حفظ الأمن والنظام وتطبيق القوانين ذاتياً .

ونرى الصحيفة في مجموع بنودها شرعت جملة قوانين وقواعد أرسى من خلالها الرسول (**ﷺ**) القواعد الأساسية لطبيعة العلاقة بين الفئات المختلفة في المجتمع المدني الجديد ، حدد فيها ما للمشركيين من حقوق المواطنة والمعايشة وحرية الاعتقاد ، واشترط عليهم النصح للدولة الإسلامية وعدم التامر عليها ، وعدم إجازة مشركي قريش ولا أموالهم ، وعدم الحيلولة بين المؤمنين وبين أحد من المشركيين وأصبح سكان المدينة صفا واحداً على الرغم من اختلاف ميولهم وأهوائهم ودياناتهم وجعلهم كتلة متحدة للدفاع عنها ضد الغارات الخارجية وكتلة واحدة للقضاء على الاختلافات الداخلية<sup>(3)</sup> ، وقد وضع الرسول الكريم (**ﷺ**) هذا الدستور لتنظيم الحياة العامة في المدينة وتحديد العلاقات بينها

\* (\*) سورة البقرة الآيات : 128 ، 141 ، 134 ، 143 ، 123 ، آل عمران الآيات : 104 ، 110 ، 113 ؛ النساء الآية : 41 ؛ المائدah : 66 ، 48 ، 113 ؛ الأنعام : 108 ؛ الأعراف : 34 ، 38 ، 164 ، 159 ، 181 ؛ يونس : 19 ، 47 ، 49 ؛ هود : 8 ، 118 ؛ يوسف : 45 ؛ الرعد : 30 ؛ الحجر : 5 ؛ النحل : 36 ، 89 ، 92 ؛ فرقان ، 3 ، 120 ؛ الأنبياء : 92 ؛ الحج : 34 ، 67 ؛ المؤمنون : 43 ، 44 ؛ الزخرف : 22 ، 23 ، 33 ؛ الجاثية : 28 مرتين . ينظر: هاشم الملاح ، الوسيط ، ص203 ؛ عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس للفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، (القاهرة-2001م) ، ص98-99.  
^ (1) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/502 .  
^ (2) سورة التوبه ، الآية : 71 .  
^ (3) ابن هشام ، السيرة ، ق 503-1/502 .



وبين جيرانها ، ويدل هذا الدستور على أن دولة المدينة أصبحت دولة وفاقيه بالتوافق بين أطرافها المتعددة عاصمتها المدينة ورئيسها رسول الله (ﷺ) وصاحب الكلمة النافذة فيها والسلطان الغالب فيها للمسلمين ، وتدل هذه الصحيفة على مقدرة فائقة من الناحية التشريعية وعلى علم بأحوال الناس وظروفهم .

وان الناظر في هذه الصحيفة ليعجب من بعد نظر واضعها وتسامحه وقدرته على التوفيق بين الاضداد ، فيهذه الصفات تمكّن النبي (ﷺ) قبل مضي سنة على قدومه إلى المدينة مهاجراً من أن يصبح سيدها في الحكم وقائدها في الحرب وهاديه في الدين<sup>(1)</sup> .

## الفصل الرابع

### دولة المدينة والأمة المجاهدة :-

---

<sup>1</sup> (? ) الطباوي ، محاضرات ، ص 14 .



# الخطوات التي اتبعها الرسول(ﷺ) في نشر الدعوة الإسلامية وتوحيد الجزيرة العربية

**الجهاد:- م مشروعته ومراحل تشريعه - الإذن بالقتال**  
الجهاد في سبيل الله أساس صيانة الدولة ، وقوامة الجهاد  
القتال والإعداد له .

القتال اصطلاحاً هو المقابلة والمحاربة بين اثنين<sup>(1)</sup> ، وردت كلمة القتال ومشتقاتها في القرآن الكريم نحو مائة وسبعين موضعأً<sup>(2)</sup> ، كما في قوله تعالى : **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَّمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**<sup>(3)</sup> .  
وقصد هنا بالكره لذكره وليس كره فرضه الله عز وجل ، بسبب ما به من غلطة ومشقة<sup>(4)</sup> ، وإخراج للمال وفارقة للوطن والأهل والتعرض بالجسد للشجاج والجراج والقطع وذهاب النفس فكانت كراهيته لذلك<sup>(5)</sup> .

ورغم ذلك أمر الله به وهذا دليل على ما فيه من خير لنا  
والله يعلم ما لا نعلم<sup>(6)</sup> .

أما **الجهاد** :- وهو عادة مقترنة بالقتال وكما جاء في اللغة :-  
هو كلمة مأخوذة من الفعل جهد بفتح الجيم وضمها ، فهو بالضم  
البوسيع والطاقة<sup>(7)</sup> ، كما في قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحْدُونَ إِلَّا جُهْدُهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخَرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**<sup>(8)</sup> .

<sup>1</sup> (?) ابن منظور ، لسان العرب ، 14/64 ؛ والقتال لغة : هو اصل صحيح ، وقتله - يقتله قتلاً وقتله أي أنهى حياته واماته : الأزدي ، أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد ، جمهرة اللغة ، ط1 ، دار صادر ، (بيروت- 1345هـ) ، ج 2 ، ص 25 .

<sup>2</sup> (?) عبد الباقى ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص 643-645 .

<sup>3</sup> (?) سورة البقرة ، الآية : 216 .

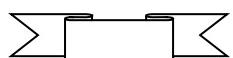
<sup>4</sup> (?) الأزهري ، الزاهر ، ص 39 .

<sup>5</sup> (?) القرطبي ، تفسيره ، 3/39 .

<sup>6</sup> (?) ابن تيمية ، احمد بن الحليم الحراني (ت 728هـ) ، رسائل وفتاوی ابن تيمية في التفسير ، تحقيق: عبد الرحمن محمد النجدي ، (د.م- د.ت) ، ج 15 ، ص 9 .

<sup>7</sup> (?) ابن منظور ، لسان العرب ، 3/133 ؛ الجوهرى ، إسماعيل بن حماد ، الصحاح ، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة-1956) ، ج 5 ، ص 1797 .

<sup>8</sup> (?) سورة التوبه ، الآية : 79 .



والجهد بالفتح المشقة ، وهو ما جهد الإنسان من مرض أو ضنك العيش أو جهد البلاء أو أي أمر شاق<sup>(1)</sup> ، والجهد هو بلوغك غاية الأمر الذي لا تألوه على الجهد فيها .

**والجهاد :- الأرض المستوية الغليظة<sup>(2)</sup> ، وجهاداً ومجاهدة بالكسر :** هو بذل الوسع والمجهود في قتال العدو<sup>(3)</sup> ، والجهاد أصطلاحاً : هو مقاتلة ومحاربة الأعداء وبذل الجهد والطاقة<sup>(4)</sup> ، أي بأموالكم والستكم وأنفسكم<sup>(5)</sup> ، ويدرك ابن حجر العسقلاني<sup>(6)</sup> ، هو بذل الجهد في مدافعة الأعداء ، وبذل الجهد في إرشاد الكفار إلى دين الحق بالقول والفعل وللجهاد معاني أوسع بكثير من قتال الأعداء والعمليات الحربية ، ويدرك القرطبي<sup>(7)</sup> قائلاً :- هو الامتثال لجميع ما أمر الله به والانتهاء عن كل ما نهى عنه أي جهاد النفس في طاعة الله وردها عن الهوى وجهاد الشيطان في رد وسوسته ، ورد الظلمة في ظلمهم . والكافرين في رد كفرهم ، كما في قوله تعالى: **أَوْجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ حِجَادِهِ هُوَ أَخْبَاتُكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...<sup>(8)</sup>**

والجهاد في الشرع : هو واجب على كل مسلم حر ، ذكر بالغ كامل العقل مطيق له صحيح من المرض والعمى والعرج ، بشرط حضور إمام ، داعياً إليه أو من يؤمره<sup>(9)</sup> .

وفي رواية يذكرها القرطبي<sup>(10)</sup> : أنَّ الْجَهَادَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي عَيْنِهِ ، أَيْ إِذَا عَيْنَ وَلِيَ الْأَمْرِ أَنَا سَأَلِّي لِلْخُرُوجِ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِجَابَةِ وَيُصِيبُهُمُ الْإِثْمُ بَعْدَ الْإِجَابَةِ ، أَمَّا رأْيُ الْإِجْمَاعِ (أَنَّ الْجَهَادَ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ (ﷺ) فَرْضٌ كَفَافَةٌ فَإِذَا قَامَ بِهِ مَنْ قَامَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ الْعُدُوُّ بِسَاحَةِ الإِسْلَامِ فَهُوَ حِينَئِذٍ فَرْضٌ عَيْنٌ)<sup>(11)</sup> ، كما في قوله

<sup>1</sup> (؟) ابن منظور ، لسان العرب ، 3/134 .

<sup>2</sup> (؟) المصدوقي ، نفسه ، 3/134 .

<sup>3</sup> (؟) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، 1/186 .

<sup>4</sup> (؟) ابن منظور ، لسان العرب ، 3/135 .

<sup>5</sup> (؟) ابن كثير ، تفسير ، 3/236 .

<sup>6</sup> (؟) فتح الباري ، 3/6 .

<sup>7</sup> (؟) تفسيره ، 12/99 .

<sup>8</sup> (؟) سورة الحج ، من الآية ، 78 .

<sup>9</sup> (؟) الحلي ، يحيى بن سعيد ، (ت 690هـ) ، الجامع للشرائع ، تحقيق: جمع من الفقهاء ، مؤسسة سيد الشهداء ، (النجف- د.ت) ، ص 233 .

<sup>10</sup> (؟) تفسيره ، 3/39 ؛ في رواية عن ابن المسيب ، مثال ذلك سورة البقرة ، الآية : 216 ؛ التي ذكرناها في بداية الموضوع .

<sup>11</sup> (؟) المصدوقي ، نفسه ، 3/39 .



تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَيْرُ أُولَئِكُمْ  
الصَّرَرُ وَالْمُحَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ  
فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ  
دَرِجَةً وَكُلًاً وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْنَى وَفَصَلَّى اللَّهُ عَلَى الْمُجَاهِدِينَ  
عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(1)</sup>

وفي رأي آخر للفقهاء عدوا الجهاد فرض تطوع<sup>(2)</sup> ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ  
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجِنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغُدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْأَنْجِيلِ  
وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْكُمْ  
الَّذِي بِأَيْغَنْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(3)</sup>

وجوهر الجهاد ومفتاحه الصبر على المقدور ، وقد انعم (ﷺ) على امة النبي محمد (ﷺ) بالصبر وبشرت به ، فاعطيت ما لم تعط الأمم من قبلها<sup>(4)</sup> ،

كما في قوله تعالى : ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ  
وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>(5)</sup>

لقد ذكرت كلمة الجهاد ومشتقاتها في القرآن الكريم في اثنين وأربعين موضعًا من القرآن الكريم<sup>(6)</sup> .  
وقد حث (ﷺ) في كتابه العزيز في أكثر من آية ومناسبة ورغب فيه كما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ  
هَاجَرُوا وَجَاهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ  
اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(7)</sup> .  
وكذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(8)</sup>

<sup>1</sup> (؟) سورة النساء ، الآية : 95 .

<sup>2</sup> (؟) القرطبي ، تفسيره ، 3/39 ؛ في رواية عن الثوري .

<sup>3</sup> (؟) سورة التوبه ، الآية 111 ؛ ولمزيد من الإيضاح ينظر القرطبي ،  
تفسيره ، 3/39 .

<sup>4</sup> (؟) ابن تيمية ، رسائل وفتاوي ابن تيمية ، 14/43 .

<sup>5</sup> (؟) سورة البقرة ، من الآية : 177 ، والبأس : هو حالة الفقر والمرض  
والأسقام والبأس :

هو القتال ؛ ابن كثير ، تفسيره ، 1/209 .

<sup>6</sup> (؟) ينظر محمد فؤاد عبد الباقي ، القرآن المفهرس ، ص 224-225 .

<sup>7</sup> (؟) سورة البقرة ، الآية : 218 .

<sup>8</sup> (؟) سورة المائدة ، الآية : 35 .

وقوله تعالى : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَا جُرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْفُوا وَنَصَرُوا أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًا لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**<sup>(1)</sup>

وَحَثَ النَّبِيُّ (ﷺ) فِي أَحَادِيثِه عَلَى الْجَهَادِ أَيْضًا وَرَغْبَ فِيهِ وَفِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ عَنِ الرَّسُولِ (ﷺ) سُئِلَ مَا يَعْدُ الْجَهَادَ قَالَ لَا تَسْتَطِعُونَ، فَكَرَرُوا عَلَيْهِ السُّؤَالَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، فَأَجَابُوهُمْ قَائِلًا : مَثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثْلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَفْتَرُ مِنْ صَلَةٍ وَلَا صِيَامٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(2)</sup>، وَفِي الْحَثِّ عَلَى الْجَهَادِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : **(وَلَا تَعْمَدُوا السَّيُوفَ عَنْ أَعْدَائِكُمْ فَتُوتِرُوا ثَارِكُمْ)**<sup>(3)</sup> ، أَيْ تَوْجِدُوهُ الْوَتْرَ فِي أَنْفُسِكُمْ .

وَعَنْ أَبِي هَرِيرَةَ (ﷺ) عَنِ الرَّسُولِ (ﷺ) قَالَ : (ثُمَّ اتَّدَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِه لَا يُخْرِجُه إِلَّا إِلَيْهِ الْيَمَانَ بِيَ وَتَصْدِيقَ بِرَسْلِي أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غُنْيَمَةٍ أَوْ ادْخُلْهُ الْجَنَّةَ وَلَوْلَا أَنْ أَشْقَى عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيرَةٍ وَلَوْدَدْتُ أَنِّي أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ) <sup>(4)</sup> .

وَعَنْ مِشْرُوعِيَّةِ الْجَهَادِ ، فَلَمْ يَكُنِ الدِّينُ إِسْلَامِيُّ دِينٌ عَنْفٌ وَقُوَّةٌ وَدَمَارٌ بَلِ الْعَكْسِ فَقَدْ اجْتَنَبَ الدِّينُ إِسْلَامِيُّ القُوَّةَ كَشَأنَ جَمِيعَ الْأَدِيَانِ ، وَإِنَّهُ مَا كَانَ لِيَنْتَصِرُ بِالْقُوَّةِ لَوْلَا مَا يَكُنُ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ صَالِحًا لِلانتِصَارِ<sup>(5)</sup> .

فَقَدْ بَدَأَ إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ عَهْدَهُ وَهُوَ مُعْتَدِي عَلَيْهِ وَلَمْ يَعْتَدْ هُوَ عَلَى أَحَدٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ . . .**<sup>(6)</sup>

<sup>1</sup> (؟) سورة الانفال ، الآية : 784 ؛ وينظر الآية : 75 من نفس السورة في نفس المعنى .

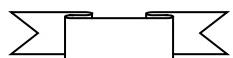
<sup>2</sup> (؟) الترمذى ، محمد بن عيسى السلمى ، (ت 279هـ) ، سنن الترمذى ، تحقيق: احمد محمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، (د.م- د.ت) ، ج 4 ، ص 1640 ، كتاب فضائل الجهاد ؛ السيوطي ، عبد الرحمن بن كمال جلال الدين (ت 911هـ) ، الدرر المنشور ، دار الفكر ، (بيروت-1993) ، ج 1 ، ص 88 ؛ النووى ، رياض الصالحين 2/161 .

<sup>3</sup> (؟) ابن قتيبة ، أبو عبد الله بن مسلم الدينوري ، (ت 276هـ) ، غريب الحديث ، ط 1 ، تحقيق: د. عبد الله الجبورى ، مطبعة العاني ، (بغداد- 1397هـ) ، ج 2 ، ص 177 .

<sup>4</sup> (؟) البخارى ، صحيح ، 1/22 .

<sup>5</sup> (؟) العقاد ، عباس محمود ، العقريبات الإسلامية ، ص 35 .

<sup>6</sup> (؟) سورة الحج ، من الآية : 40 .



ويذكر ابن هشام<sup>(1)</sup> عن ابن إسحاق: حول نزول الأمر لرسول الله في القتال: (كان رسول الله قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاة إلى الله والمصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين ففتنوهم عن دينهم ونفوهם من بلادهم، منهم بين مفتون في دينه وبين معذب من أيديهم وبين هارب في البلاد فراراً منهم، منهم بأرض الحبشة ومنهم بالمدينة وفي كل وجه)، وكان مشركون مكة يؤذنون أصحاب رسول الله (ﷺ) أذى شديداً وكانوا يأتون رسول الله (ﷺ) من بين مضروب ومشجوج يتظلمون عليه<sup>(2)</sup>.

ويذكر خباب بن الارت<sup>(\*)</sup> أن رسول الله كان يصبر المسلمين قائلاً: (اصبروا فإني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر الرسول فأنزل عزل وجل أول آية تأذن للرسول في الحرب وأحل له الدماء والقتال لمن يغى عليهم)<sup>(3)</sup>، كما في قوله تعالى: ﴿أَذْنَ لِلّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى تَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾<sup>(4)</sup>.

وكذلك نزول القرآن الكريم (الآيات المكية) فيه تحت المسلمين على الصبر والدفع والتي هي أحسن مع الوعد بالنصر النهائي بعون الله، ويبدو أن الله (ﷺ) قد هيأ أذهان المسلمين للجهاد للرد على العدوان في سورة الشورى وهي من أواخر

<sup>1</sup> (؟) السيرة ، ق 1/467 .

<sup>2</sup> (؟) الزمخشري ، الإمام حار الله محمود بن عمر (ت 528هـ) ، الكشاف عن حقائق غواصن التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي ، (بيروت- د.ت) ، ج 3 ، ص 160 .

<sup>\*</sup> (\*) وهو خباب بن الارت بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي ويقال الخزاعي أبو عبد الله ، سبى في الجاهلية في مكة ، مولى أم انمار الخزاعية ، ثم حالفبني زهرة واسلم قدماً سادس ستة وهو من المستضعفين وهو أول من أظهر إسلامه وعدب عذاباً شديداً طل يعاني من آثاره وشهد المشاهد كلها ومنها بدر ، ثم نزل الكوفة ومات بها سنة 37هـ . ينظر: ابن قتيبة ، المعارف ، ص 316-317 ; الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان ، (ت 748هـ) ، طبقات المحدثين ، ط 1 ، تحقيق: همام عبد الرحيم ، دار الفرقان ، (عمان-404هـ) ، ج 1 ، ص 279 ; ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت 852هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ط 1 ، دار الجيل ، (بيروت-1990) ، ج 2 ، ص 258 .

<sup>3</sup> (؟) الطبرى ، تفسيره ، 9/248 .

<sup>4</sup> (؟) سورة الحج ، الآية : 39 .



البسور المكية<sup>(1)</sup> ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابُوهُمْ  
الْتَّغْيُرُ هُمْ يَتَّسِرُونَ، وَجَرَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا  
وَأَضْلَحَ فَأَخْرُجَهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلَمَنِ  
اِنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾<sup>(2)</sup> .

لقد كانت حروب العرب في الجاهلية تدور في الغالب حول أمرتين رئيسيتين هما التأر والغزو ، ولما جاء الإسلام دخلت الحرب عند العرب في دور جديد لا علاقة له بالسبعين المذكورين ، فدعاهما الإسلام إلى نوع جديد من الحرب هو حرب الدفاع عن النفس وعن المبادئ والمثل العليا التي جاء بها الدين الجديد ، أي إن الإسلام نهى عن حرب الاعتداء لكتسب المتعة أو المراعي أو الدواب ، وأحاز حرب الدفاع<sup>(3)</sup> ، ﴿وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(4)</sup> .  
وقوله تعالى : ﴿. . . فَإِنِ اتَّهَوْا فَلَا عُذْوَانَ إِلَّا عَلَى  
الظَّالِمِينَ﴾<sup>(5)</sup> .

وشرع (ﷺ) الجهاد للدفاع عن الدين ومبادئه وإعلاء كلمة الله ودينه حتى لا يكون شرك ويكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان<sup>(6)</sup> ، كما في قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ  
فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ اتَّهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا  
يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(7)</sup> .

وعن الرسول الكريم (ﷺ) قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الله وحسابهم على الله)<sup>(8)</sup> ، ولقد شرع الجهاد أيضاً لتأمين نشر الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها حتى لا تحدث الفتنة في الدين كما حصل لعمار بن ياسر وبلال في بداية الدعوة<sup>(9)</sup> كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَصْنَعِينَ مِنَ

<sup>1</sup> (? ) الملاج ، الوسيط ، ص 214 .

<sup>2</sup> (? ) سورة الشورى ، الآية : 41-39 .

<sup>3</sup> (? ) د. تحسين حميد مجید ، تكريم المحاربين ، المؤرخ العربي ، العدد 32 ، (بغداد-1987م) ، ص 1 .

<sup>4</sup> (? ) سورة البقرة ، الآية : 190 .

<sup>5</sup> (? ) سورة البقرة ، الآية : 193 .

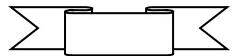
<sup>6</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 9/248 .

<sup>7</sup> (? ) سورة الانفال ، الآية : 39 : ينظر الطبرى ، تفسيره ، 9/248 .

<sup>8</sup> 250 : حيث كانت الفتنة الأولى الخروج إلى الحبشة والفتنة الثانية هو الخروج إلى المدينة . وعنى هنا بالفتنة: أي الشرك .

<sup>9</sup> (? ) البخارى ، صحيح ، 1/17 ; ابن كثير ، تفسيره ، 1/227 .

<sup>9</sup> (? ) حسن إبراهيم ، النظم الإسلامية ، ص 224 .



**الرّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْوَلَدُانُ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِحْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الطَّالِمَ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلَيْاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ تَصِيرًا** <sup>(1)</sup>

ومن أجل تأمين الدعوة للدخول في الإسلام كما في قوله تعالى : **إِنَّمَا يُكَاهُ فِي الدِّينِ قَدْ ثَبَّتَ الرُّسُلُ مِنَ الْغَيِّ** . . . <sup>(2)</sup>

وإذا تقصينا آيات القرآن الكريم في القتال ، ورجعنا إلى ظروف التنزيل حرباً وسرية سرية ما خالجنا شك في أن الحرب المشروعة في الإسلام هي الحرب الدفاعية ، وان من مزايا الشريعة الإسلامية أنها شريعة عملية تواجه الحقائق البشرية والفطرية ، وتجابه المعضلات بالحلول العملية فما دامت الموعظة الحسنة لا ترد الظلم البشري ، ولا تمنع من وقوع الاعتداء ، وما دام أعداء الإسلام يُعنون في عدائهم ولا يقنعون بحسن الجوار ولا يرعون العهود القائمة على مبادئ العدالة والحرية والإنصاف ، وما داموا يوقعون الاعتداء ، ويثيرون الحروب ، فإن الإسلام لا يقف تجاههم ذليلاً خاصعاً مكتوف اليدين تجاه الاعتداء ، بل يقابل الشر بالشر والاعتداء بالاعتداء ، ويجابه الحوادث والوقائع بالحزم والعزم والشدة مع الحكمة إلى أن يكف الباغي عن غيه ، ويتوقف المعتمدي عن عدوانه ويعود إلى الحق ويركن إلى السلام ، وان هذه السياسة الحكيمة قد رافقـت الرسول <sup>(3)</sup> في جميع حروبه واتبعـه حلفاؤه من بعده <sup>(3)</sup> ، ولم يفرض الجهاد في مكة لأنها كانت مرحلة صبر وبناء عقائد للمسلمين الأوائل الذين تم على يدهم نشر الإسلام وبعونه تعالى <sup>(4)</sup> .

فكان الرسول في مكة مدة ثلاثة عشر عاماً يدعوا قومه إلى الإسلام بالموعظة الحسنة .

وأما السبب الثاني : لأن المسلمين كانوا قوة مستضعفة في مكة ، ويدرك ابن كثير <sup>(5)</sup> قائلاً : **(إِنَّمَا شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَهَادَ فِي الْوَقْتِ الْأَلْيَقِ بِهِ لَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَا كَانُوا بِمَكَةَ، كَانُ الْمُشْرِكُونَ أَكْثَرُ عِدَّةً فَلَوْ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ أَقْلَعَشْرَ بِقْتَالِ الْبَاقِينَ لِشَقِّ عَلَيْهِمْ)** ، وربما صح اعتبار

<sup>1</sup> (? ) سورة النساء ، الآية : 75 .

<sup>2</sup> (? ) سورة البقرة ، الآية : 256 .

<sup>3</sup> (? ) تحسين حميد ، تكريم المحاربين ، العدد 32 ، ص 1 .

<sup>4</sup> (? ) اللهيـيـيـ ، محمود تركـي فـارـسـ ، التنـظـيمـاتـ العـسـكـرـيةـ فـيـ عـصـرـ النـبوـةـ وـالـخـلـافـةـ الرـاشـدـةـ ، رسـالـةـ مـاجـسـتـيـرـ غـيرـ مـنـشـورـةـ مـقـدـمـةـ إـلـىـ جـامـعـةـ بـغـدـادـ - كلـيـةـ التـرـيـيـةـ ، (بغـدـادـ 1995) ، صـ 26 .

<sup>5</sup> (? ) تفسـيرـهـ ، 1/227 .



الهجرة النبوية ابتداءً حقيقةً لنظام الحرب في الإسلام ، وبعد نزول الآية الكريمة : **أَذِنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ طَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَضْرِيْهِمْ لَقَدِيرٌ**<sup>(1)</sup>

بدأ المسلمون يدخلون دوراً جديداً من الصراع ضد خصومهم ، وهو الدور العسكري المسلح دفاعاً عن سيادتهم واسترجاعاً لحقوقهم ، وتعذر هذه المرحلة الثانية بعد تشرع الجihad وهي مرحلة فرض القتال على المسلمين بعد الهجرة ، فيذكر الشافعي<sup>(2)</sup> : (ولما مضت لرسول الله مدة من هجرته انعم الله فيها على جماعات بإتباعه حدثت لهم بها مع عون الله عز وجل قوة بالعدد لم يكن قبلها . ففرض الله عز وجل عليهم الجihad بعد إذ كان أباوه) ، ثم أخذت الآيات القرآنية تترى وترغب المسلمين في الجihad في سبيل الله وإعلاء كلمته ورفع شأن المسلمين ودعوههم إلى العمل على تحقيق وحدتهم<sup>(3)</sup> : **إِكْتِبْ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ...**<sup>(4)</sup>

وهي المرحلة الأخيرة من مراحل تشرع الجihad بعد أن فرضه في كتابه وعلى لسان نبيه الكريم حيث أكد على النفي في الجihad على كل مطيق له لا يسع أحداً منهم التخلف عنه<sup>(5)</sup> ، وأكد الإيجاب وعظيم الجihad وحث عليه في عامة سور المدنية<sup>(6)</sup> . كما في قوله تعالى :

1- ... **وَقَاتِلُوا أَمْسِرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً**  
**وَأَغْلُمُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**<sup>(7)</sup>.  
2- **إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِإِنَّ**  
**لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**  
**وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًّا فِي التُّورَةِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ**

<sup>1</sup> (? ) سورة الحج ، الآية : 39 .

<sup>2</sup> (? ) أبو عبد الله محمد بن إدريس ، (ت 204هـ) ، أحكام القرآن ، تحقيق: عبد الغني عبد الحالق ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-1400هـ) ، ج 2 ، ص 17 .

<sup>3</sup> (? ) تحسين حميد ، تكريم المحاربين ، العدد 32 ، ص 1 .

<sup>4</sup> (? ) سورة البقرة ، من الآية: 216 وقد ذكرناها في معنى القتال .

<sup>5</sup> (? ) الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس ، (ت 204هـ) ، الرسالة ، تحقيق: احمد محمد شاكر ، (القاهرة-1939) ، ج 1 ، ص 361 .

<sup>6</sup> (? ) د . تحسين حميد ، تكريم المحاربين ، العدد 32 ، ص 2 .

<sup>7</sup> (? ) سورة التوبة ، من الآية : 36 .

**أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ  
وَدِلْكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**<sup>(1)</sup>

ثم بعد ذلك خفف الباري عز وجل عن المقاتلين المؤمنين إذ علم ضعفهم وإعلام منه بمعونته ونصره<sup>(2)</sup> ، كما في قوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفِي عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ  
مِنْكُمْ مَا يَأْتِي صَابِرَةً يَعْلَمُوا مَا لَيْسُوا بِهِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَفْ  
يَعْلَمُوا أَلْقَيْنَا إِلَيْهِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**<sup>(3)</sup> .

وقد ذم<sup>(4)</sup> في كتابه العزيز التاركين له ، ووصفهم بالنفاق ومرض القلب : **إِنْ كَانَ أَبَاكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْرَاجُكُمْ  
وَأَرْجُوكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ افْتَرَ قِنْمُوهَا وَتِحَارَهُ  
تَحْسُنُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْصَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ . . .**<sup>(4)</sup>

وقوله : **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ  
لَمْ يَرْتَأُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**<sup>(5)</sup> ، وقوله تعالى : **وَعَلَى النَّلَاثَةِ  
الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَّ  
وَصَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَطَلَّوْا أَنْ لَا مَلَجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا  
إِلَيْهِ . . .**<sup>(6)</sup>

وهم ثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة وضاقت الأرض عليهم غماً وندماً على تخلفهم عن الجهاد وخوفاً من نومة الله على الذين تخلفوا عن الجهاد وقد قاطعهم الرسول والمسلمون وحتى نساوهم وهم كعب بن مالك شاعر الرسول وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة تخلفوا عن غزوة تبوك<sup>(7)</sup> .

## إعداد الجيش - السرايا والمغازي :-

لم يكن للعرب في الجاهلية نظام خاص للجند ، لأنهم كانوا على حالة البداوة الأولى فكان رجال القبيلة يهبون للقتال مشاة وفرساناً بقيادة مشايخهم إذا ما دعوا للقتال حاملين أسلحتهم المعروفة في ذلك الوقت ، وهي السيف والرمح والقوس ، فإذا ما

<sup>1</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 111 .

<sup>2</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 10/38 .

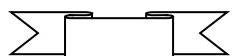
<sup>3</sup> (? ) سورة الانفال ، الآية : 66 .

<sup>4</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 24 .

<sup>5</sup> (? ) سورة الحجرات ، الآية : 15 .

<sup>6</sup> (? ) سورة التوبه ، من الآية : 118 .

<sup>7</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 58-11/57 .



انتهى القتال عادوا إلى ديارهم وانصرفوا إلى أعمالهم ، ولما جاء الإسلام ألف بين قلوبهم وبدؤوا يقاتلون في سبيل نشره<sup>(1)</sup> ، ولكون النبي محمد (ﷺ) قائداً للأمة الإسلامية ورئيساً للدولة ، كانت أمامه مهام جسام ، فما كاد ينتهي من تنظيم أمور المدينة الداخلية وتعزيز الجبهة الداخلية ، كان أمامه مهمة المحافظة على المدينة نواة للدولة وقاعدة لنشر الإسلام وتوسيع رقعته ولمواجهة المخاطر في المدينة وما حولها من الأعداء فقد قام الرسول (ﷺ) بإعداد الجيش والمُقاتلين المسلمين وتطوير كفاءتهم القتالية ، بحيث يجعلهم دوماً على استعداد طارئ وعملاً بقوله تعالى : **وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ ثُرَّهُبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَآتَيْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**<sup>(2)</sup> . وفي هذه الآية أمر صريح بإعداد الجيش للجهاد وتزويده بالآلة الحرب من سلاح وغير ذلك من رباط الخيل ووجوب النفقه عليه والبحث عليها<sup>(3)</sup> .

وتحث الرسول (ﷺ) على التدريب وعلى الرماية بالقوس والسيام بالخصوص وذم من تعلمها ثم نسيها ، وفي رواية عن عتبة بن عامر أن الرسول محمد (ﷺ) حين قرأ على المنبر قوله تعالى : **(وَاعْدُوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)** قال : ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي<sup>(4)</sup> . كما امتدح الرسول الخيول والعناية بها وإعداد الفرسان وكان يقول : **(الْحَيْلَ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ)**<sup>(5)</sup> .

وأمر (ﷺ) رسوله الكريم بصفته قائداً للمسلمين بإعدادهم وحثهم وإثارة روح الحماسة فيهم على القتال ، ففي معركة بدر كان الرسول يحرض المسلمين على القتال ويقول لهم : **(شدوا**

<sup>1</sup> (? ) حسن إبراهيم حسن ، النظم الإسلامية ، ص 226 .

<sup>2</sup> (? ) سورة الانفال ، الآية : 60 .

<sup>3</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 10/32 .

<sup>4</sup> (? ) أبو داود ، سنن أبي داود ، 3/13 ؛ المتنذري ، أبو محمد عبد العظيم

بن عبد القوى ، (ت 656هـ) ، الترغيب والترهيب ، ط 1 ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-1417هـ) ،

ج 3 ، 1047 .

<sup>5</sup> (? ) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي ، (ت 256هـ) ، التأريخ الكبير ، تحقيق : السيد هاشم الندوى ، دار الفكر ، (دم-دم) ، ج 4 ، ص 184 .



**عليهم<sup>١</sup>** لذلك فقد خوطب في القرآن الكريم : **إِنَّمَا أَيُّهَا النَّيْتِيَّ حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَعْلَمُوْا مَا يَتَّيَّنُ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةً يَعْلَمُوْا أَفَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ<sup>٢</sup>**.

وهذه الآية تلزم المقاتل المسلم ببذل طاقة قتالية تبلغ عشر مرات أكثر من الطاقة القتالية للمقاتل الكافر وبعونه (٤) وتأييده يتم النصر على الأعداء ، لأنهم المؤمنون وأعداؤهم الكافرون الذين وصفهم الله : **(بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُوْنَ)** .

وكان الرسول<sup>٥</sup> الكريم (٥) ينظم بنفسه جنوده في ارض المعركة مستخدماً نظام الصف ، وهو النظام الذي أحب (٦) أن يقاتل به المسلمين في سوح المعارك كصفوف الصلاة المترادفة : **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الدِّينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْضُوضٌ<sup>٧</sup>** .

والقتال راجلاً أحب إلى الله من القتال فارساً<sup>٨</sup> ، وربما يعود ذلك لندرة الخيول وقلة امتلاك المسلمين لها ، فلم يكن بين جيش المسلمين في بدر مثلًا إلا فرس واحدة وفي رواية أخرى ثلاث<sup>٩</sup> .

## السرايا والمعاري :-

قام الرسول (١) بأول خطوة عملية لإعداد الجيش ، وهي تشكيل السرايا<sup>١٠</sup> ، والتي عرفت في السنتين الأوليتين كانت عبارة عن حملات حربية صغيرة لا يقصد بها حرب ، بل هي من أعمال الدوريات الحربية غرضها المحافظة على الحدود أو الاستكشاف والاستطلاع ورصد الأعداء وكان الرسول يحيط بهذه السرايا بالسرية ، وكان يختار قادتها بنفسه مما يدل على معرفة كبيرة

<sup>1</sup> (?) ابن الوردي<sup>١١</sup> ، زين الدين عمر بن مظفر ، (ت 749هـ) ، تاريخ ابن الوردي ، ط 2 ، المطبعة الحيدرية ، (النحو 1969) ، ج 1 ، ص 153 ؛  
وينظر الرسالة المتخصصة في مجال التنظيمات العسكرية ،  
اللهبي ، ص 52 .

<sup>2</sup> (?) سورة الانفال ، الآية : 65 .

<sup>3</sup> (?) سورة الصاف ، الآية : 4 .

<sup>4</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 28/86 .

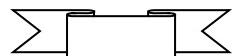
<sup>5</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/666 .

(\* ) وهي تسمية أطلقها أصحاب المغارى والسير على حملات الرسول

(١) وعملياته العسكرية فالحملات التي قادها الرسول سميت غزوات ،

أما التي عهد بها إلى غيره من الصحابة سميت بالسرايا . ينظر: ابن

سعد ، الطبقات ، 6-2/5 .



## بمتطلبات العمل الاستطلاعي من شجاعة وتصحية وجرأة وإخلاص

وكانت بعض هذه السرايا ذات طابع هجومي لإيقاع الضرر بالعدو والانسحاب بسرعة لاعتبارات عسكرية لأن الدافع الرئيس منها رد العدو وإن السعي لحماية حرية العقيدة ، وكان معظم هذه السرايا موجهاً ضد قواقل قريش<sup>(1)</sup> ، وقد ساعد الموقع الجغرافي للمدينة على طريق القواقل المسافرة من مكة إلى الشام على الإضرار بمصالح قريش التجارية<sup>(2)</sup> ، إذ لا يبعد الطريق أكثر من 13 كم ، مما كان على المهاجمين من المسلمين إلا الاهتمام بالفرقة المرافقة للقوابل التجارية المكية ثم يعودوا أدراجهم بسهولة قبل ظهور أي جماعة للمساعدة<sup>(\*)</sup> .

وكذلك للضغط اقتصادياً على قريش لتغيير موقفها من المسلمين ، وذلك كون التجارة عصب الحياة الاقتصادية لمكة<sup>(3)</sup> ، فتعمل على محالفة المسلمين مما يترك المجال مفتوحاً لدخول القبائل العربية في الإسلام دون حواجز وقيود ، وكذلك تقديرأً لمكانة قريش المتميزة بين هذه القبائل<sup>(4)</sup> .

وتشكل هذه القواقل كذلك تعويضاً للمهاجرين عما استولت عليه قريش من أموالهم عند الهجرة وعما تسببت لهم من أذى ، وبذلك تخفف من وطأة الصائقنة الاقتصادية للمهاجرين في المدينة في بدء هجرتهم<sup>(5)</sup> .

والهدف الأخير من هذه السرايا اراد بها الرسول استعراض قوة المسلمين أمام القبائل القاطنة قرب المدينة حتى يعزل قريش عن حلفائهم من هذه القبائل ، وحمل هذه القبائل على فك حلفها مع قريش والتحالف مع المسلمين الأقوياء وعدم التفكير بغزو المدينة ، فيذكر أن غزوة الابواء<sup>(\*)</sup> :- وهي أول غزوة غزاها

<sup>1</sup> (? ) الطبرى ، تاريخ ، 2/402-472 .

<sup>2</sup> (? ) المصدر نفسه ، 2/402-472 .

<sup>\*</sup> (\*) وهذه الخطة مشابهة لخطة العرب القتالية في الصحراء وهي

مجاجة العدو بإعداد الكمائن له

(الكر والفر) . ينظر: مونتجومري وات ، محمد في المدينة ، ص 5 :

الشريف ، مكة والمدينة ،

ص 400 .

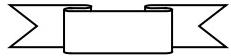
<sup>3</sup> (? ) الملاح ، الوسيط ، ص 216 .

<sup>4</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 643-1/644 .

<sup>5</sup> (? ) الملاح ، الوسيط ، ص 216 .

<sup>\*</sup> (\*) الابواء ، قرية من أعمال الفرع في المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان

، 1/92 .



الرسول (ﷺ) بعد اثنى عشر شهراً للهجرة<sup>(1)</sup> بنفسه كان يريد قريش وبني ضمرة بن بكر بن مناہ بن كنانة فوادعته فيها بنو ضمرة ، دون أن يحدث قتال بين الطرفين<sup>(2)</sup> .

ويذكر الواقدي<sup>(3)</sup> ، أن مغاري النبي (ﷺ) التي غزاها بنفسه سبعاً وعشرين غزوة وإن السرايا سبعاً وأربعين سرية ، وفي رواية أخرى عن قتادة أن مغاري رسول الله (ﷺ) وسراياه ثلاث وأربعون ، منها أربع وعشرون سرية وتسعة عشرة غزوة<sup>(4)</sup> ، وهناك رواية تذكر أن الرسول (ﷺ) قاد خمساً وعشرين حملة بنفسه وأاسند خمساً وثلاثين منها إلى بعض الصحابة<sup>(5)</sup> .

وكانت أول سرية للمسلمين قادها حمزة بن عبد المطلب في رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة النبي (ﷺ)<sup>(6)</sup> ، ثم سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب ابن عبد مناف<sup>(\*\*)</sup> ، على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على بعد عشرة أميال من الجحفة<sup>(\*\*\*)</sup> لاقو أبا سفيان في مائتي راكب فحدث تراشق بالسهام لكن لم يحدث قتال ، فكان أول من رمى بسهم في الإسلام هو سعد بن أبي وقاص ، ثم سرية سعد ابن أبي وقاص قرب الجحفة في ذي القعدة في الشهر التاسع من هجرة رسول الله (ﷺ)<sup>(7)</sup> ، ثم كانت غزوة الابواء ودان<sup>(\*)</sup> .

<sup>1</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 2/8 ؛ ابن عبد البر ، الدرر ، ص 103 .

<sup>2</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/591 .

<sup>3</sup> (? ) محمد بن عمرو ، (ت 207هـ) ، المغاري ، تحقيق: د. مارسدن جوسن ، (اكسفورد 1966) ، ج 1 ، ص 7 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 2/6 ؛ ابن هشام ، السيرة ، ق 1/591 ، إلا انه جعل غزوة الابواء قبل سرية حمزة ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2/33 .

<sup>4</sup> (? ) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3/242 .

<sup>5</sup> (? ) الحديسي ، د. نزار عبد اللطيف ، الأمة والدولة في سياسة النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين ، ط 1 ، دار الحرية ، (بغداد-1987) ، ص 155 .

<sup>6</sup> (? ) الواقدي ، المغاري ، 1/9 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 2/7 .

<sup>\*</sup> (\*\* ) بن قصي القرشي المطلي وأمه من ثقيف وكان أحد السابقين الأولين في الإسلام وهو أسن من رسول الله بعشرين سنتين ، وهاجر مع أخوه إلى المدينة وقد بارز رأس المشركين في يوم بدر . ينظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 1/256 .

<sup>7</sup> (\*\* ) قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل وسميت الجحفة لأن السيل اجتھدتها وحمل أهلها في بعض الأعوام وهي أول الغور إلى مكة . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان 2/111 .

<sup>\*</sup> (? ) الواقدي ، المغاري ، 1/11 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 2/7 .

<sup>\*</sup> (\*) ذكرنا تفاصيلها في بداية موضوع السرايا ، أما الطبرى فقد جعل غزوة الابواء في الشهر الثاني عشر من الهجرة مثل ابن هشام وابن سعد . ينظر: الطبرى ، تاريخ ، 403-2/404 .



أما خليفة ابن خياط<sup>(1)</sup> ، فقد جعل غزوة الابواء سنة اثنين للهجرة ، ولكننا نرى أن الترتيب الذي وضعه الواقدي وابن سعد اقرب إلى الواقع وهي سرية حمزة ثم سرية عبيدة بن الحارث ثم غزوة ودان ، أما ابن الأثير<sup>(2)</sup> ، فقد وضح سبب هذا الالتباس والاختلاف وذلك لتقارب الفترة الزمنية لعقد اللوائين حيث قال : **(وقال بعضهم : كان لواء أبي عبيدة أول لواء عقد وإنما اشتبه ذلك لقرب بعضهما ببعض)** .

## الصراع مع قريش:= غزوة بدر الكبرى :

كانت غزوة بدر<sup>(\*\*)</sup> التي اعز الله بها الإسلام وجنته في يوم الجمعة صبيحة يوم سبعة عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة<sup>(3)</sup> .

كان قدوم أبي سفيان بن حرب من الشام بغير قريش تحمل تجارات وأموالاً لها كثيرة ، ونلمس ذلك في مقالة أبي سفيان : **(ما بمكة من قريشي ولا قرشية له نشي فصاعداً إلا قد بعث به معنا)**<sup>(4)</sup> ، لهذا ترى تخوف أبي سفيان عليها من عيون المسلمين .

فلما بلغت العيون رسول الله (ﷺ) ندب المسلمين قائلاً : **(هذه غير قريش فيها أموالهم لعل الله يُغنمكموها)**<sup>(5)</sup> .  
فلما علم أبو سفيان بذلك أرسل إلى قريش يستنجدهم ، فخرج أهل مكة سراعاً ولم يتخلف من أشرفها إلا أبي لهب وقد بعث مكانه العاص بن هشام ، وكانت عدتهم تسعمائة وخمسين رجلاً ومعهم مائة فرس ومعهم القياد والدفوف<sup>(6)</sup> ، أما عدة

<sup>1</sup> (? ) تاريخ ، 21/13 .

<sup>2</sup> (? ) الكامل في التاريخ ، 2/78 .

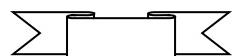
<sup>\*</sup>  
(\*\*) بدر : كانت موسم من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كل عام ، وتكثر فيه الآبار . ينظر: ابن هشام ، السيرة ، ق 1/618 .

<sup>3</sup>  
(? ) المصدري نفسه ، ق 1/626 ؛ المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ، (ت 346هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط 3 ، تحقيق: محمد محي الدين ، (مصر-1958) ، ج 2 ، ص 295 .

<sup>4</sup> (? ) الواقدي ، المغازى ، 1/20 .

<sup>5</sup> (? ) المصدري نفسه ، 1/20 .

<sup>6</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 2/12 .



ال المسلمين ف كانت ثلاثة و بضع رجال و منهم أربع و سبعون مهاجرأ  
و معهم سبعون من الإبل يتعاقبون عليها<sup>(1)</sup>.  
ويذكر انه أبطأ على رسول الله (ﷺ) الكثير من أصحابه حيث  
لم يطروا حدوث قتال ، و حدث اختلاف وكلام كثير بينهم ، حيث  
يذكر الطبرى<sup>(2)</sup> ذلك قائلاً : (فخرجو لا يريدون إلا أبا  
سفيان والركب معه لا يروا فيها إلا غنيمة لهم لا  
يطرون أن كبير قتال إذا لقوهم) .

وقد صور لنا (ﷺ) ذلك بقوله : «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ  
بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارُهُونَ، يُحَادِلُونَكَ فِي  
الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَاتِمًا يُسَافِرُونَ إِلَيِّ الْمَوْتِ وَهُمْ  
يُنْظَرُونَ، وَإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ أَحَدُ الْطَائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لِكُمْ  
وَتَوَدُّونَ أَنْ عَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ  
يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَارِ الْكَافِرِينَ»<sup>(3)</sup> ، وسار النبي  
(ﷺ) مع المسلمين حتى عرش قريباً من بدر وأرسل العيون  
للاستطلاع<sup>(4)</sup> .

ثم نزل المسلمون بعد ذلك بالعدوة الدنيا أي شفير الوادي  
الأدنى إلى المدينة وأما المشركون فقد نزلوا بشفير الوادي  
الأقصى إلى مكة والعير وأبو سفيان في موضع أسفل منهم إلى  
ساحل البحر خوفاً من الرصد<sup>(5)</sup> ، وكان هذا اللقاء بدون سابق  
موعد ، ولو تواعدوا لاختلقو في الميعاد ولکثرة عدد المشركين  
قياساً بالمسلمين<sup>(6)</sup> .

كما جاء في قوله تعالى : «إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ  
بِالْعُدُوَّةِ الْقُضْوَى وَالرَّكْبُ أَسْقَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ  
لَا خَتَّلْفُتُمْ فِي الْمِيَعَادِ وَلِكُنْ لِيَقْصِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ  
مَفْعُولاً . . . .»<sup>(7)</sup> .

<sup>1</sup> (?) المصدر نفسه ، 2/12 ؛ الطبرى ، تفسيره ، 9/187 ، وفي رواية  
يذكرها الطبرى ، أن عدد المسلمين في معركة بدر كان ثلاثة  
وثلاثون رجلاً ، وفي رواية أخرى ، (305) رجلاً .

<sup>2</sup> (?) تاريخ ، 2/421 .  
<sup>3</sup> (?) سورة الأنفال ، الآية : 7-5 ، ويقصد هنا بيتك : أي خروج النبي من  
المدينة إلى بدر ، والحق : أي القتال ، وكراهية المسلمين الخروج  
لأنهم كانوا يطرون إن خروجهم للغير وليس للقتال ، وغير ذات  
الشوكه ، هنا العير ، والشوكه ، النصر في القتال ؛ الطبرى ، تفسيره ،  
9/182 .

<sup>4</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 614-1/617 .

<sup>5</sup> (?) ابن سعد ، الطبقات ، 2/5 ؛ الطبرى ، تاريخ ، 422-2/423 .

<sup>6</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 9/187 .

<sup>7</sup> (?) سورة الأنفال ، من الآية : 42 .

وقوله تعالى واصفاً المشركين : **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرَنَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا**<sup>(١)</sup>.

ثم نزل المسلمون على أدنى ماء من بدر ، وأشار سعد بن معاذ على رسول الله (ﷺ) بناء عريش يجلس فيه ، ثم أقبلت قريش ، ثم تزاحف القوم ، فدعا رسول الله (ﷺ) ربه قائلاً : **(اللَّهُمَّ أَنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةِ لَا تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي وَلَمْ يَزِلْ كَذَلِكَ حَتَّى سُقْطَةِ رَدَاؤِهِ)**<sup>(٢)</sup>

وقد جسد (ﷺ) هذا الموقف بقوله : **إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ لَئِنِّي مُمْدُّكُمْ بِالْفِ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا يُشَرِّى وَلَتَطْلَمَنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا التَّضْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**<sup>(٣)</sup>

وقوله تعالى : **[أَفَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَاتَلُهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبَلِّيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ**<sup>(٤)</sup>

**إِذْ يُغَشِّيَكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذَهِّبَ عَنْكُمْ رُجُرَ الشَّيْطَانِ وَلِيُزِيِّنَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ**<sup>(٥)</sup>

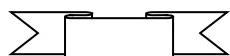
حيث يلقي (ﷺ) النعاس على المسلمين في الحرب أمناً من الله لهم من عدوهم في الحرب ، وفي رواية عن ابن عباس أن المشركين من قريش لما خرجوا لينتصروا العير ويقاتلون المسلمين نزلوا على ماء بدر فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الطماً فجعلوا يصلون مجنبي محدثين حتى تعاظم ذلك عليهم وأحزنهم ووسوس الشيطان بذلك في قلوبهم ، فأنزل (ﷺ) بطشه ورحمته المطر فشرب المسلمون وأغتسلوا واشتدت بهم الأرض واستدوا عليها بعد نزول المطر ، لأنها كانت أرض بطحاء

<sup>١</sup> (?) سورة الأنفال ، الآية: 47 ، وهنا تحذير للمسلمين أن لا يكون خروجهم مثل المشركين رباء وطلبًا للسمعة والتماس ما عند الناس ، ولا كانوا مع المشركين سواء بل يجب أن يخلصوا النية في نصرة دينهم ونبيهم لا لشيء آخر ، الطبرى ، تفسير ، 10/16 .

<sup>2</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/626 .  
 (?) سورة الأنفال ، الآية : 10-9 ؛ مردفين : أي متابعين ، لكي تسكن قلوبكم بمحيطهم أي مدد الملائكة وتؤمن بالنصر من الله (ﷺ) : الطبرى ، تفسيره ، 9/194 .  
<sup>3</sup>

<sup>4</sup> (?) سورة الأنفال ، الآية : 17 ، والبلاء الحسن هنا : الظفر بالأعداء وغنمها ما معهم ؛ الطبرى ، تفسيره ، 9/205 .

<sup>5</sup> (?) سورة الأنفال ، الآية : 11 .



تدخل فيها أرجلهم ولعل موقعة بدر كانت الامتحان الأول لهذه الفئة القليلة من المؤمنين تبين فيها صدق إيمانهم وثباتهم على مبادئهم<sup>(1)</sup> ، كما أسفرت هذه الحرب على حيز التطبيق من احكام بشرعية وقواعد ثابتة يسيرون وفقها في حربهم ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالغائتم ومعاملة الأسرى ، وقد وضعت سورة الأنفال التي نزلت بهذه المناسبة أموراً كثيرةً تخص الحرب والاستعداد لها ، والصبر والثبات فيها ، وفداء الأسرى وغيره<sup>(2)</sup> ، ومن ذلك قوله تعالى :-

1- ﴿وَأَعْدُوا لَهُم مَا لَمْ أَسْتَطِعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾<sup>(3)</sup>

2- ﴿... إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدَبَارَ﴾<sup>(4)</sup>

وفي التحذير من اعتبار الحرب مصدراً لتحقيق المكاسب المادية أو لذاتية كما في قوله تعالى ... . . . **تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**<sup>(5)</sup> .

إن موقعة بدر على الرغم من قلة العدة والعدد - إذا ما قيست بمعارك العرب الكبرى كالقادسية واليرموك وغيرها ، فإنها كانت بعيدة في معاناتها ونتائجها ، حيث أثبتت بالدليل القاطع أن التفوق العددي ليس بالضرورة لجسم الحرب لصالحها وإنما النصر حليف المقاتلين الصابرين الأشداء حملة المبادئ المدافعين عن الحق والعدل<sup>(6)</sup>

3- ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظْلَمُونَ أَتَهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَيْتُ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(7)</sup>

4- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ يَبْدِرُ وَأَنْتُمْ أَدِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكِرُونَ﴾<sup>(8)</sup>

5- ﴿وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرْتُ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(9)</sup>

¹) الطبرى ، تفسيره ، 9/194 .

²) د. تحسين حميد ، تكريم المحاربين ، العدد 32 ، ص 2 .

³) سورة الأنفال ، من الآية : 60 .

⁴) سورة الأنفال ، من الآية : 15 .

⁵) سورة الأنفال ، من الآية : 67 .

⁶) د. تحسين حميد ، تكريم المحاربين ، العدد 32 ، ص 2 .

⁷) سورة البقرة ، من الآية : 249 .

⁸) سورة آل عمران ، الآية : 123 .

⁹) سورة الأنفال ، من الآية : 19 .

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام في الوقت الذي كان يستعد للقتال لرد اعتداء أو إحباط اعتداء كان في الوقت نفسه يدعو إلى السلام كلما ساحت له الفرصة بذلك<sup>(1)</sup>.

**وَإِنْ جَنَحُوا لِلّسْلُمِ فَاجْنِحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**<sup>(2)</sup>.  
وفي قوله تعالى : **إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرُ لَكُمْ ...**<sup>(3)</sup>

وتذكر بعض الروايات أن مشركي مكة عند خروجهم لقتال المسلمين أخذوا بأسنار الكعبة واستنصروا الله قائلين : **(اللهم انصر اعز الجندين وأكرم الفئتين وخير القبليتين)** ، فكان جوابه (ﷺ) في معركة بدر بنصر النبي (ﷺ) وجنته<sup>(4)</sup>.

وقد سماها (ﷺ) بيوم الفرقان ، لأنها فرقت بين الحق والباطل وانتصر المسلمون في هذه المعركة بعون الله وإذنه . كما في قوله تعالى : **إِنْ كُنْتُمْ آمِنِّيْمَ بِاللّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**<sup>(5)</sup>.

وانهزمت قريش وقتل العديد من صناديدها وخيرة رجالاتها<sup>(6)</sup>.

وقد التزم الإسلام في هذه المعركة والمعارك اللاحقة بقواعد الشرف والإنسانية ضد خصومه المنهزمين في المعارك فلم يتعرض للأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ ، وعامل الأسير بمنتهى الإنسانية كما في قوله تعالى : **أَوْيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبُّهِ مِسْكِينًا وَأَسِيرًا**<sup>(7)</sup>.

كما لقي الجرحى من المشركين العناية نفسها التي لقبها جرحى المسلمين ذلك إن الإسلام لم يعتبر الحرب حالة طارئة ودائمة وغاية بحد ذاتها بقدر كونها حالة استثنائية ووسيلة لحماية المبادئ ، وخلق الجو الملائم لتأمين حرية الدعوة<sup>(8)</sup> ، واختلف المسلمون والصحابة في كيفية التعامل مع الأسرى قبل أن ينزل

<sup>1</sup> د. تحسين حميد مجید ، تکریم المحاربین ، العدد 32 ، ص 2.

<sup>2</sup> سورة الأنفال ، الآية : 61.

<sup>3</sup> سورة الأنفال ، من الآية : 19.

<sup>4</sup> الطبری ، تفسیره ، 9/209 . فی روایة عن السدی .

<sup>5</sup> سورة الأنفال ، من الآية : 41.

<sup>6</sup> ابن هشام ، السیرة ، ق 1/708.

<sup>7</sup> سورة الإنسان ، الآية : 8.

<sup>8</sup> تحسین حمید مجید ، تکریم المحاربین ، العدد 32 ، ص 32.

فيهم كتاب الله ، وعند مشاورة رسول الله للصحابة ، فقد أشار عمر بن الخطاب (ﷺ) على رسول الله (ﷺ) بضرب رقبتهم ، بينما أشار أبو بكر عليه بأخذ الفدية منهم لصلة الرحم معهم وعسى أن يهديهم الله لدينه ويكونوا عوناً له والاستعانتة بالدية لتمويل الجيش<sup>(1)</sup> ، فقام الرسول الكريم (ﷺ) إلى طلب الفدية والإبقاء على حياة الأسرى لأنها أقرب إلى نفسه وسماحة خلقه ، وأما من ليس له مقدرة على الفداء من الأسرى فمن عليهم الرسول الكريم بالعفو . كما في قوله تعالى : **إِنَّمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتْحَجَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** \* ، لولا كتاب من الله سبق لمسككم فيما أحذتم عذاباً عظيمـ \* فَكُلُوا مِمَّا عَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ \* يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ حَيْرًا يُؤْتِكُمْ حَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>(2)</sup> .

ومن الآيات التي ورد ذكر الأسرى كما جاء في قوله تعالى : **إِنَّمَا لَقِيْتُمُ الْذِيْنَ كَفَرُوا فَصَرَبْتَ الرِّقَابَ حَتَّى إِذَا أَنْتَنْتُمُوهُمْ فَيُشَدُّوَا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَصْنَعَ الْحَرْبَ أَوْ زَارَهَا . . .**<sup>(3)</sup>

أما من يحسن من الأسرى القراءة والكتابة فعليه أن يعلم عشرة صبيان من المسلمين حتى يتم إطلاق سراحه ، وكان من جملة صبيان المسلمين زيد بن

ثابت<sup>(4)</sup> ، وهنا تبرز أهمية أخرى لمعركة بدر والتي تعكس بعد النظر السياسي والحضاري للرسول (ﷺ) بعده قائداً سياسياً وتربيوياً للدولة والأمة ، إذ لم ينس وهو في ظل هذه الظروف الافادة من معطيات هذه المعركة وإدراكه أهمية العلم والمعرفة في بناء المجتمع الإسلامي الجديد ، ويكفينا دليلاً على ذلك إن أول

<sup>1</sup> (? ) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 296/3-297 .

<sup>2</sup> (? ) سورة الأنفال ، الآيات : 67-70 ، وهنا عتاب من الله لرسوله الكريم على أخذه الفداء ، ويبدو أن الله (ﷺ) لا يريد أن يكون للمسلمين أسرى خاصة في هذه المرحلة من حياة الأمة وبناء الدولة وإنما عليهم إيقاع أكبر عدد من الخسائر في صفوف الأعداء حتى يرهبوهم وذلك لإعلاء كلمة الله سبحانه : ابن هشام ، السيرة ، ق 1/677 ; الملاج ، الوسيط ، ص 36 .

<sup>3</sup> (? ) سورة محمد ، الآية : 4 ; الطبرى ، تفسيره ، 26/40 .

<sup>4</sup> (? ) الواقدي ، المغازي ، 1/119 ; ينظر ابن سعد ، الطبقات ، 2/22 ; وتم الترجمة لحياة زيد بن ثابت ضمن موضوع الجهاز الإداري لحكومة الرسول (ﷺ) .



سور القرآن نزلت تحت على العلم والتعلم وقد وردت آيات كثيرة فيما بعد فيها أدوات وأفعال التعليم مثل : ( اقرأ<sup>(\*)</sup> ، يكتبون ، يسطرون ، البيان ، علم ، يعلمون ، يعقلون ، يتفقهون ، وغيرها ) ، وكان المسجد مركزاً للتعليم حيث كان يجلس فيه الرسول والصحابة والمسلمون للتفقه بأمور دينهم .

ومن القواعد الأساسية التي نزلت بها سورة الأنفال هي في كيفية توزيع الغنائم بصورة عامة وتوزيع غنائم بدر بصورة خاصة والتي أصبحت منهاجاً يسير عليه المسلمين فيما بعد كما في قوله تعالى : **«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ فُلِّ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاقْرُأُوا**

**اللَّهُ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**<sup>(1)</sup> ، وعن سبب نزول هذه الآية وفي رواية عن عبادة بن الصامت قال عن الأنفال : إنها نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساقت فيه أخلاقنا فنزلناه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ، قسمه ( ) بيننا عن بواء أي سواء<sup>(2)</sup> ، ويدرك القرطيسي<sup>(3)</sup> : إن المسلمين يوم بدر كانوا ثلا ثلاثة طوائف ، فئة تثبتت مع الرسول لحماته ، وفئة قاتلت العدو ، وفئة جمعت الغنائم ، ولهذا حصل النزاع لأن كل فرقة ادعت أنها أحق بالنفل من غيرها ، وفي هذه الآية دعوة إلى التصالح وعدم التنازع وإرجاع

---

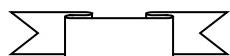
(\* ) اقرأً يَا سَمِّ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ اقرأً وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ سورة العلق ، الآية : 5-1 ، وسورة البقرة الآية : 30 ، 44 ، وسورة الطور ، الآية : 3-1 ، وهذه بعض الأمثلة ولو لا أهمية التعليم في الإسلام لما أذن سبحانه وتعالى بتحول طالب العلم عن الجهاد للاستمرار في التفقه في الدين كما في سورة التوبه الآية : 122 : **«أَوَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَتَفَرَّغُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** .

(?) سورة الأنفال ، الآية : 1 ، والأنفال : هي الزيادة على الشيء ولذا يطلق النفل والنافلة على التطاوع لزيادة الفريضة وتطلق الأنفال على الأموال التي لا مالك لها من رؤوس الجبال وبطون الأودية والقرى التي أباد أهلها وعلى غنائم الحرب والظفر على الأعداء والأموال التي غنمها المقاتلون والأسرى . ينظر: ابن سلام ، الأموال ، ص 18 ؛ والمطابطائي ، تفسير الميزان ، 9/2 ؛ وينظر عفيفي ، محمد صادق ، المجتمع الإسلامي وفلسفته المالية والاقتصادية ، دار الكتاب الجديد ، (د.ت-1980) ،

ج 2 ، ص 252 .

(?) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/642 .

(?) تفسيره ، 7/360 .



الأمور في هذه المسائل لله ورسوله ، ثم انزل (ﷺ) قوله :  
 ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَنِّيْمُ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ  
 وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ  
 كُنْتُمْ آمِنِيْمَ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْقُرْفَانِ يَوْمَ  
 التَّقْىِ الْحَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(1)</sup>  
 وقد أجاب القرآن عن هذه التساؤلات بعد أن جعل أمر  
 الأنفال ييد الرسول (ﷺ) ، وأوضح كيفية توزيعها .

**غزوَةُ أَحْدٍ :-** في شوال سنة ثلاثة للهجرة :-  
 بعد انهزام قريش ومقتل خيرة رجالاتها في معركة بدر ،  
 أصبحت أكثر تصميماً على قتال المسلمين والأخذ بالثار منهم ،  
 واستعادة هيبتها بين القبائل العربية وجعلوا أرباح القافلة التي  
 نجت من أيدي المسلمين لتجهيز هذه الحملة كما جاء في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ  
 سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ  
 يُعْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُخْسَرُونَ﴾<sup>(2)</sup> .  
 ((فخرجت قريش بحدها وحديدها واحابيشها<sup>(\*)</sup> ،  
 ومنتبعها من بنى كنانة ، وأهل تهامة وخرجوا معهم  
 بالضعن التماس الحفظة وألا يفروا))<sup>(3)</sup> ، في ثلاثة آلاف  
 رجل فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائتا فارس وثلاثة آلاف بعير ،  
 وقادتهم أبو سفيان بن حرب مصطحبًا زوجته هند بنت عتبة ،  
 وساروا من مكة ونزلوا قرب المدينة في موضع يسمى بعينين ،  
 بجبل ببطن السبخة على شفير الوادي مقابل المدينة ، فلما سمع  
 بهم رسول الله (ﷺ) جمع المسلمين وشاورهم في أمر الخروج أو  
 البقاء في المدينة لمقابلة قريش<sup>(4)</sup> ، وبناءً على رأي الأكثري استعد  
 الرسول والمسلمون وخرجوا من المدينة لمقابلة الأعداء وكان  
 تعداد جيش المسلمين نحو ألف من الصحابة وصاروا بين  
 المدينة وأحد فانخذل عليهم ابن أبي بن سلول<sup>(\*\*)</sup> في ثلث الناس  
 بدعوى أن الرسول لم يأخذ بمشورته قائلاً :- أطاعهم وعصاني

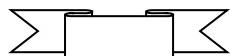
<sup>1</sup>) سورة الأنفال ، الآية : 41 .

<sup>2</sup>) سورة الأنفال ، الآية : 36 .

<sup>\*</sup>) الاحابيش : هم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة والهون ابن خزيمة بن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا جميعاً بoward يقال له الاحبشن أسفل مكة فسموا بهذا الاسم نسبة إليه . ينظر: ابن هشام ، السيرة ، ق 373 .

<sup>3</sup>) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/61 .

<sup>4</sup>) ابن سعد ، الطبقات ، 2/36 .



علام نقتل أنفسنا ورجع بمن تبعه من أهل النفاق<sup>(1)</sup> ، ويذكر أن طائفتين من المسلمين همتا ولم تفعل عندما شاهدوا عبد الله بن أبي بن سلول ينحاز وهموا بالانصراف ولكنهم لم يفعلوا وهم بنو سلمة وبنو حارثة<sup>(2)</sup> .

كما في قوله تعالى : **إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَيْنِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**<sup>(3)</sup> ، وقام الرسول<sup>(4)</sup> (ﷺ) بتنظيم مقاتليه للقتال كأنما يقوم بهم القدر إن رأى صدراً خارجاً قال تأخر<sup>(4)</sup> ، وجعل للجيش ميمنة وميسرة<sup>(5)</sup>

كما في قوله تعالى : **وَإِذْ عَذَّوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبُّوئِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**<sup>(6)</sup> .

وقد وعد (ﷺ) المسلمين عند خروجهم إلى أحد انه سوف يمدهم بالملائكة أنْ صبروا واتقوا كما في قوله تعالى : **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلْنِ يَكْفِيْكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ قَوْرَهِمْ هَذَا يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوَّمِينَ**<sup>(7)</sup> .

ويذكر الواقدي<sup>(8)</sup> قائلاً : فلم يصبروا وانكشفوا فلم يمد رسول الله (ﷺ) بملك واحد يوم أحد ، وتنشب القتال بين المسلمين والمشركين وكانت الغلبة في بادئ المعركة للمسلمين ، وقتل أصحاب اللواء من المشركين ، فانكشفوا منهزمين لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون يضعون السلاح

\* (\*\* ) هو عبد الله بن أبي بن سلول العوفي : سيد أهل المدينة عندما قدمها رسول الله (ﷺ) وكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجهوا ثم يملكون عليهم فجاءهم الله برسوله (ﷺ) فدخلوا به ودخله كارهاً مصر على نفاقه وطعنه . ينظر: ابن هشام ، السيرة ، ق 1/585 .

<sup>1</sup> (?) المصدر: نفسه ، ق 2/65 .

<sup>2</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 4/419 .

<sup>3</sup> (?) سور آل عمران ، الآية : 122 .

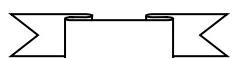
<sup>4</sup> (?) الواقدي ، المغازي ، 1/319 .

<sup>5</sup> (?) ابن سعد ، الطبقات ، 2/40 ; كما في قوله تعالى في سورة الصاف ، الآية : 4 ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّاً كَأَنَّهُمْ يُتَبَّانُ مَرْضُوْصُنْ)) ، وكان يصفهم صفواف متراصة كصفوف الصلاة .

<sup>6</sup> (?) سور آل عمران ، الآية : 121 ; والتبوئة اتخاذ الموضع ؛ الطبرى ، تفسير ، 4/416 .

<sup>7</sup> (?) سورة آل عمران ، الآية : 124-125 ; الواقدي ، المغازي ، 1/319 .

<sup>8</sup> (?) المغازي ، 1/320 .



فيهم ، واختلف الرماة الذين وضعهم الرسول خلف المسلمين فثبت أميرهم عبد الله بن جبير في نفر قليل في موضعهم ونزل الباقيون لجمع الغنائم ظنهم إن المعركة قد انتهت ، وكان يرقبهم من بعيد خالد بن الوليد فكر بالخيل يتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم<sup>(1)</sup> ، واختلط المسلمون وأصبحوا يقاتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضاً وقتل مصعب بن عمير حامل لواء الرسول (ﷺ) ، وقتل حمزة عم الرسول (ﷺ) على يد وحشى<sup>(\*)</sup> ، وقد صورة (ﷺ) تصويراً بلغاً لجريات الأحداث بدأ بالفوز ثم الانهزام بسبب الاختلاف ومخالفة الرماة لأوامر الرسول (ﷺ) ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقُكُمُ اللَّهُ وَعْدُهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ يَأْذِنُهُ حَتَّىٰ إِذَا فَشَلُّتُمْ وَتَبَارَّ عَنْهُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكمُ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْتُمْ عَنْهُمْ لِيَتَبَلَّكُمْ وَلَقَدْ عَفَاهُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوْنَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَذْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا يَعْمَلُونَ لِكَيْلًا تَحْرِنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(2)</sup> .

ومما زاد في انهيار معنويات المسلمين وخذلانهم في المعركة إشاعة كانت قد انتشرت بين المسلمين إن الرسول قد قتل ، ولا داعي للاستمرار في الحرب .

لذلك فقد عاتبهم الله ووبخهم في القرآن وخاطبهم : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَثْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

<sup>1</sup>) ابن سعد ، الطبقات ، 2/41 .

<sup>\*</sup> (\*) وهو غلام بن جبير بن مطعم ، يسمى وحشى ، وكان حبيشاً يقذف بحربه له قذف الحبشه فلما يخطئ بها فقال جبير اخرج مع الناس فان قتلت عم محمد بعمي طعيمه بن عدي فانت عتق . ينظر: الطبرى ، تاريخ ، 2/501 : الجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر ، (ت 255هـ) ، رسائل الجاحظ ، ط 1 ، تحقيق: حسن السندي ، المطبعة الرحمانية ، (مصر-1933) ، ص 59 .

<sup>2</sup>) سورة آل عمران ، الآية : 152-153 : الذين يريدون الدنيا : أي الغنيمة والذين يريدون الآخرة هم الذين أطاعوا أوامر الرسول ويفسروا في مواضعهم على الجبل . ينظر: الطبرى ، تفسير ، 4/124-129 ; الطبرى ، تاريخ ، 2/509 : الواقدى ، المغازى ، 1/323 ، ثم صرف عن المشركين حين كانت الدولة لكم عليهم والابتلاء هنا ليرجع المشركون فيقتلوا من قتلوا منكم ويجرحوا من جرح منكم ، وهنا تصعدون في الجبل هاربين ، والغم الأول القتل والجرح حين تفرعنهم المشركون ، وغما بغم : أي بلاء على اثر بلاء : الطبرى ، تفسيره ، 4/472-475 .

**فُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَصْرَرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ<sup>(١)</sup>.**

وقد خاطب الله رسوله في : **هَلْ يَسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَنْتُوْتَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ طَالِمُونَ<sup>(٢)</sup>.**

ولفت خسائر المسلمين في هذه المعركة خمسة وستين شهيداً ، أربعة منهم من المهاجرين ، والبقية من الأنصار<sup>(٣)</sup> ، أما قتل المشركين في هذه المعركة بلغ اثنين وعشرين رجلاً<sup>(٤)</sup> ومع هذه النسبة تصبح الغلبة والنصر لقريش على

المسلمين ، وقد تعامل الرسول الكريم بحكمه لتجاوز الأزمة ففعى عنمن فر ولم يلق بتبعه الخسران على احد كما في قوله تعالى : **إِنَّمَا رَحْمَةُ مِنَ اللَّهِ لِتَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّالِعِيْظَ الْقَلْبَ لَأْنَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاغْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ . . .<sup>(٥)</sup>**

ونزل القرآن مواسياً ومحففاً عنهم هذه المصيبة كما في قوله تعالى : **وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَخْرُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسِسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الدِّينَ آمَنُوا وَيَنْهَا مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الطَّالِمِينَ<sup>(٦)</sup>.**

انتهت معركة أحد بدرس بلigh وعظة كبيرة للمسلمين لاسيما إن أمامهم درباً طويلاً للجهاد والكافح مستبطين منه ضرورة تمسك وإطاعة أوامر الرسول وتوجيهاته ، وإنهم في ظل هذه الظروف بأمس الحاجة إلى التكافف والتعاون لمواصلة مسيرتهم ، وليهون (هـ) الأمر على المسلمين خاطبهم بيقوله تعالى : **إِنَّمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىِ الْجَمِيعَنِ فَيَإِذِنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٧)</sup>.**

إن من أسمى معاني وغايات الجهاد هو الحصول على أحد الحسينين ، هو النصر أو الشهادة وكان المسلمون يتسابقون لنيلها

<sup>١</sup> (? ) سورة آل عمران ، الآية : 144 ; ابن سعد ، الطبقات ، 2/42 .  
<sup>٢</sup> (? ) سورة آل عمران ، الآية: 128 ; الآية 127 من نفس السورة ; ابن هشام السيرة ، ق 80/2 ; ولمزيد من الإطلاع ينظر ابن سعد ، الطبقات ، 2/45 ،

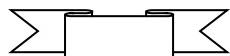
<sup>٣</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 127-2/122 .

<sup>٤</sup> (? ) المصدر نفسه ، ق 2 / 126 - 129 .

<sup>٥</sup> (? ) سورة آل عمران ، من الآية : 159 .

<sup>٦</sup> (? ) سورة آل عمران ، الآية : 140-139 ; الآيات ، 142-141 ; الواقدي ، المعازى ، 1/321 .

<sup>٧</sup> (? ) سورة آل عمران ، الآية : 166 .



، وقد وعد الله المقاتلين بالأجر والذكر الحسن في الدنيا وبنعيم الآخرة لمن ينالها فقد جاء في السيرة أن المسلمين بعد أن أصيروا في موقعة أحد جعل الله أرواح الشهداء في أجوف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشروبهم وماكلهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدون في الجهاد ن ولا ينكروا (أي لا يرجعوا) عن الحرب<sup>(1)</sup> .

فقال الله : وأنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(2)</sup> ، قوله تعالى : ﴿وَلَا تَخْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(3)</sup> فِرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِّشُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحِقُوا بِهِمْ مِنْ حَلْفِهِمْ أَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ﴾<sup>(3)</sup>

يقول ابن هشام<sup>(4)</sup> في السيرة النبوية عن ابن إسحاق : (انه مما انزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاتبة من كاتب منهم) .

فما كان اليوم التالي جمع رسول الله (ﷺ) المسلمين على الرغم من جراحاتهم وجدوا في طلب قريش وتبعوا المشركين إلى حمراء الأسد التي تبعد ثمانية أميال عن المدينة<sup>(5)</sup> ، ليرى الناس أن المسلمين ملزّال بهم قوة على عدوهم ، وقد اثنى الله عليهم بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ اسْتَحْيَوْا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَخْسَنُوا إِنَّهُمْ وَآتَقُوا أَخْرُ عَظِيمٍ﴾<sup>(6)</sup>

وحتى لا تستغل هذه الهزيمة في إضعاف الجبهة الداخلية من اليهود والمنافقين ، لكن المنافقين ومعهم اليهود استغلو خسارة المسلمين في أحد وبدأوا يظهرون سخريتهم وشمانتهم

<sup>1</sup> (?) السيرة ، ابن هشام ، ق2/ص119-120 ; الواقدي ، المعاذى ، 1/325 ; الطبرى ، تفسيره ، 4/513 .

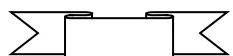
<sup>2</sup> (?) سورة البقرة ، الآية : 154 .

<sup>3</sup> (?) سورة آل عمران ، الآية : 169-170 ; الطبرى ، تفسير ، 2/38 ; ابن كثير ، البداية والنهاية ، 4/45 .

<sup>4</sup> (?) السيرة ، ق2/106 .

<sup>5</sup> (?) الواقدي ، المعاذى ، 327-1/326 ; الطبرى ، تفسيره ، 4/519 .

<sup>6</sup> (?) سورة آل عمران ، الآية : 172 .



وقد أجاب القرآن الكريم عن هذه الفئة المنافقة التي تخلت  
عَنِ الرَّسُولِ فِي الْمَعْرِكَةِ وَسَخَرَ مِنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَيَعْلَمَ  
الَّذِينَ نَأَفَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ  
إِذْفَعُوا قَاتَلُوا لَوْ نَعْلَمُ قَيْلًا لَا تَبْغِعُنَا كُمْ هُمْ لِلْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ  
أَفْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ يَا فَوَاهُهُمْ مَا لَيْسَ فِي  
فُلُوْبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(2)</sup>

**غزوة الخندق :-** في شوال سنة خمس للهجرة :-  
لقد كانت هذه الغزوة المحاولة الأخيرة التي قامت بها  
قریش لإنهاء الوجود الإسلامي .

وقد اختمرت فكرة تأليب العرب على المسلمين في يثرب في نفوس يهودبني النصير ولم يدخلوا وسعاً من حيله ومكر ومال في التحريض ضد المسلمين وخاصةً بعد إجلاء يهودبني النصير<sup>(3)</sup> ، فخرجوا إلى مكة ودعوا قريشاً لحرب المسلمين ، وبيدو أن قريشاً كانت متربدة في دخول هذا الحلف بعد أن ملت الحرب واتبعها الحصار الاقتصادي الذي فرضه المسلمون على طرق تجارتها ، ويظهر ترددتها من خلال الأسئلة التي طرحتها على اليهود<sup>(4)</sup> ، فسألوهم بصفتهم أهل كتاب وعلم هل ديننا خير أم دين محمد ، فكان جواب اليهود كما في قوله تعالى : **الَّمْ تَرَى**  
**الَّذِينَ أَوْتُوا نِصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّاغُوتِ**  
**وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا**  
**سَيِّلًا ۝ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝**<sup>(5)</sup>

فخرجت قريش وقادها أبو سفيان بن حرب ومعها قبيلة غطفان وسليم وبني سعد ومعهم بني مرة وأشجع<sup>(6)</sup> ، فلما سمع المسلمون بهم فزعوا لهذا الأمر ، إذ لم تكن المدينة تملك من

<sup>1</sup> . 1/317 (؟) الواقدي ، المغازي ،

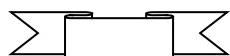
<sup>22</sup> . الآية : 167 ، سورة آل عمران ، (؟)

<sup>3</sup>) الواعدي ، الوجيز ، 859/2 ؛ ابن كثير ، تفسيره ، 2/859 .

<sup>4</sup>(?) ابن هشام ، السيرة ، ق220/2 ؛ ابن كثير ، تفسيره ، 3/470 .

. 52-51 (؟) سورة النساء ، الآية : 5

<sup>6</sup>(?) ابن هشام ، السيرة ، 2/215 .



القوة ما تستطيع به مواجهة هذه الحشود الكبيرة من قريش وحلفائها وقد بلغ تعدادهم عشرة آلاف مقاتل . أما المسلمين فقد بلغ تعدادهم ثلاثة آلاف مقاتل ، وقد نزلوا جاعلين جبل سلع إلى ظهورهم ، والخندق بينهم<sup>(1)</sup> ، وقد جاء في كتابه العزيز : **إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَيْتُ الْأَبْصَارَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَتَاجَرَ وَتَطَّلَّوْنَ بِاللَّهِ الطَّنُونَا**<sup>(2)</sup> .

ومن فوق منكم (المشرق) يعني قريطة والنضير ، ومن أسفل منكم قريش من ناحية مكة ، وزاغت الأ بصار أي مالت وشخصت ، لشدة الأمر وصعوبته عليهم ، والذين يظلون الظنوون هم المنافقون ، حيث طنوا أن المسلمين سوف يستأصلون وأيقن المؤمنون بنصر الله<sup>(3)</sup> ، أما يهودبني قريطة وكان لهم حصن شرقى المدينة ولهم عهد مع النبي (ﷺ) وذمة ، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل أقنعواهم حبي بن اخطب النصري بعد جدل طويل بنقض عهدهم مع الرسول وان يدخل الأحزاب من جهتهم المدينة<sup>(4)</sup> ، فلما علم المسلمون ذلك

اشتد الخطب عليهم وقد صور (ﷺ) خطورة الموقف في قوله تعالى: **هُنَالِكَ ابْتُلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرُلَزُلُوا زِلَّاً شَدِيدًا**<sup>(5)</sup> ، أي اختبروا ليعلم المخلصين من المنافقين<sup>(6)</sup> .

وقد فضح الله في كتابه العزيز المنافقين في غزوة الخندق . **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عُرُورًا**<sup>(7)</sup> .

كما فضح المترددين والمتخاذلين من الانصار حيث تذرعوا بالرجوع إلى المدينة لحماية بيوتهم من السرقة والعدوان مخاطباً لهم<sup>(8)</sup> : **وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرَبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ**

<sup>1</sup> (? ) المصدو نفسه ، ق 2/220 ; ابن كثير ، تفسيره ، 3/470 .

<sup>2</sup> (? ) سورة الأحزاب ، الآية : 10 .

<sup>3</sup> (? ) الوحدى ، الوجيز ، 2/859 .

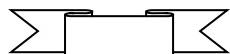
<sup>4</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/220 ; ابن كثير ، تفسيره ، 3/470 .

<sup>5</sup> (? ) سورة الأحزاب ، الآية : 11 .

<sup>6</sup> (? ) ابن كثير ، تفسيره ، 3/470 .

<sup>7</sup> (? ) سورة الأحزاب ، الآية : 12 ، حيث وعدهم عند حفر الخندق إن فارس والروم يفتحان عليهم : ابن هشام ، السيرة ، ق 2/22 ; الوحدى ، الوجيز ، 2/860 .

<sup>8</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/222 ; ابن عبد البر ، الدرر ، ص 183 ، وتذكر إحدى الروايات الذي قال هذا القول هو متعقب بن قشير أخوبني



**فَازْجَعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**<sup>(1)</sup>.

وفي قوله تعالى : **إِنَّ لَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ لَا يُؤْلِونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْوُلًا**<sup>(2)</sup>. ولكن الله (ﷺ) يبني على المؤمنين الصابرين عندما رأوا الأحزاب وكثرتهم فلم يزدهم ذلك إلا أيماناً وتصديقاً بوعد الله ورسوله وقضاءه ونصره<sup>(3)</sup>.

كما جاء في قوله تعالى : **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**<sup>(4)</sup>.

فأقام رسول الله (ﷺ) والأحزاب بضعاً وعشرين ليلة قريباً من الشهر ولم يكن حرب إلا الرمي بالنبل والحصار، وانسحب قريش وحلفاؤها وردت خائبة لم تجن شيئاً من حربها : **أَوَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِنْظَلَهُمْ لَمْ يَنْالُوا حَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**<sup>(5)</sup>.

وقد لعبت الدبلوماسية في غزوة الخندق دوراً رئيساً في تفريق الأحزاب وكان للظروف الطبيعية القاسية التي أضرت بالمشاركين سبب آخر لخسارتهم حيث هبت عليهم ريح عاتية اقتلعت خيامهم وأكفلت قدورهم<sup>(6)</sup>، كمل في قوله تعالى :

**إِنَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحْمًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**<sup>(7)</sup>.

يعد إخفاق الأحزاب في حملتهم على المدينة ، نهاية للمرحلة الأولى من سعي الرسول (ﷺ) لتوحيد العرب تحت راية الإسلام أما المرحلة الثانية فأولها صلح الحديبية وأخرها فتح مكة<sup>(8)</sup>.

وقد وضعت موقعة الخندق نهاية للصراع بين المسلمين وقريش ، حيث أظهرت عجزها ، ولم تفكر بحرب أخرى بعد ذلك

عمرو بن عوف .

<sup>1</sup>) سورة الأحزاب ، الآية : 13 ؛ الطبرى ، تفسيره ، 21/37 .

<sup>2</sup>) سورة الأحزاب ، الآية : 15 .

<sup>3</sup>) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/219 .

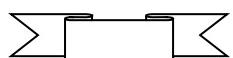
<sup>4</sup>) سورة الأحزاب ، الآية : 22 .

<sup>5</sup>) سورة الأحزاب ، الآية : 25 .

<sup>6</sup>) الطبرى ، تاريخ ، 2/573 .

<sup>7</sup>) سورة الأحزاب ، الآية : 9 .

<sup>8</sup>) الطيباوي ، محاظرات ، ص 14 .



وأصبحت الكفة في صالح المسلمين وبدأت المدينة تتحرك نحو مكة وليس العكس حتى عقد صلح الحديبية ، وهي أول وثيقة مدونة يعقدها الطرفان المتحاربان لنهاية هذا الصراع الطويل .

## الصراع مع اليهود : - الحوار الفكري والمواجهة العسكرية

بنو النضير - قينقاع - خيبر

عند هجرة الرسول (ﷺ) إلى المدينة لم يظهر اليهود أي تدخل ، ولم يbedo اعترافاً ولا موقفاً عدائياً اتجاه الرسول (ﷺ) وإنما لقي ترحيباً وقبولاً حيث اعتقادوا أن مجيء الرسول إلى المدينة ربما يكون في مصلحتهم ، وأنهم قد يستطيعون استمالته والتحالف معه وخصوصاً أن هناك تشابهاً كبيراً وقواسم مشتركة في جوهر معتقدات اليهودية والإسلام وانه بتحالفه معهم ربما يستطيعون أن يكونوا وحدة في الجزيرة العربية تقف بوجه النصرانية التي أخرجتهم من الشام<sup>(1)</sup> ، لهذا رحبوا بال المسلمين المهاجرين وبالرسول (ﷺ) حين مقدمه ، ورد عليهم الرسول بالمثل وأحسن المعاملة وتقرب إلى رؤسائهم باعتبارهم أصحاب كتاب موحدين إلى أن حولت القبلة قبل بدر شهرین إلى الكعبة<sup>(2)</sup> ، كما في قوله تعالى : ﴿قَدْ تَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَّكَ قَبْلَهُ تَرْضَاهَا فَوَلَّهُ وَجْهَكَ شَطَرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَبْتُ مَا كُنْتُمْ فَوَلَوْا وُجُوهَكُمْ شَطَرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(3)</sup>

ولكن يبدو إنهم أعادوا حساباتهم مرة أخرى لما رأوا تنامي قوة الرسول وال المسلمين وخطورة التعاليم والمبادئ الإسلامية في تحريم الربا ومنع الاستغلال فأحسوا إن هذا ليس بمصلحتهم وحتى بعد أن وادعهم الرسول وعاهدهم واقر لهم على دينهم وأموالهم<sup>(4)</sup> ، ولم يطلب منهم أكثر من التزامهم جانب الحياد في غزواته على أن ينصروه إذا ما دهم المدينة عدو<sup>(5)</sup> ، لقد حاول رسول الله (ﷺ) استمالتهم وهديهم إلى الطريق القويم دون إجبارهم في الدخول في الإسلام بشتى طرق التحاور والنقاش ، إلا انه أدرك (ﷺ) طبيعة

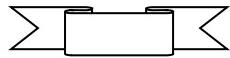
<sup>1</sup> (? ) الشريف ، مكة والمدينة ، ص 437 .

<sup>2</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 1/24 .

<sup>3</sup> (? ) سورة البقرة ، الآية : 144 .

<sup>4</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/501 ؛ الطبرى ، تاريخ ، 2/479 .

<sup>5</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 503-1/504 .



اليهود وبهتهم وتکذیبهم للأنبياء والمرسلين<sup>(1)</sup> ، حقيقة لا يمكن تغييرها<sup>(\*)</sup> .

ولكي يحافظ النبي (ﷺ) على وحدة المدينة كنواة للدولة الإسلامية وقادته ، كان عليه أن يواجه المخاطر والعقبات التي تهدده في الداخل وعلى رأسها اليهود الذين يناصبون الرسول (ﷺ) العداء والبغضاء فقد أخذوا يشنون حرباً شعواء ، من الأسئلة والجدل في أمر الرسول وصحة رسالته ليبلسووا الحق بالباطل وقد نزل القرآن الكريم في بعض آياته مجيباً عن أسئلتهم دارحضاً أدعائهم وموباخاً إياهم كما في قوله تعالى : **إِيَّاكَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهَرَةً فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ بِطَلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ . . .**<sup>(2)</sup>

وقوله تعالى : **لَوْيَسَأَلُوكَ عَنِ الرُّوحِ فُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**<sup>(3)</sup> وقد تزعم حملة التشكيك والتآمر زعماً لهم وأحبارهم<sup>(4)</sup> .  
وكان أسباب هذه العداوة على حد قول ابن إسحاق (بغياً وحسداً وضغناً لما خص الله تعالى به العرب من أخذه لرسوله منهم)<sup>(5)</sup> .

لذلك فقد دخل الرسول (ﷺ) معهم في أول مرة حواراً فكريأً وقد جاء ذكر بعضه في القرآن الكريم كقوله تعالى : **أَوَإِذَا فِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ فُلِ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلٍ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**<sup>(6)</sup> .

<sup>1</sup> (? ) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3/4 .

<sup>2</sup> (\* ) وسنورد في فصل عناصر السكان موضوعاً خاصاً عن اليهود في المدينة ، ص 173 .

<sup>3</sup> (?) سورة النساء ، من الآية : 153 .

<sup>4</sup> (?) سورة الإسراء ، الآية : 85 ؛ وقد سأله عن ذي النون وذي القرنيين وأصحاب الكهف ؛ الطبرى ، تفسيره ، 15/155 .

<sup>5</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 501-1503 ؛ وقد أورد قائمة بأسماء زعماء وأحبار اليهود ضد الإسلام ؛ ابن سيد الناس ، عيون الآخر ، 1/197 .

<sup>6</sup> (?) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر الزرعى الدمشقى ، (ت 751هـ) ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق: شعيب عبد القادر الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت-1986 (3/65) .

<sup>7</sup> (?) سورة البقرة ، الآية : 91 .

وقال اليهود لرسول الله (ﷺ) يا محمد ، ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما انزل الله عليك من آية فنتبعلها <sup>(١)</sup> ، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله : ﴿وَلَقَدْ أُنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقد رد عليهم (ﷺ) موبخاً إليهم أيضاً : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَغْفِخُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وبعد فشل الحوار الفكري والطرق السليمة التي اتبعها الرسول مع اليهود اضطر إلى اللجوء إلى الخيار العسكري ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهود وأظهروا الحسد والبغى <sup>(٤)</sup> .

وقد حاول الرسول نصحهم وتحذيرهم ولكنهم ازدادوا عناداً وبغيأً وأظهروا استعدادهم للحرب فحاصرهم النبي (ﷺ) خمس عشرة ليلة حتى نزلوا على حكمه ، فأجل لهم إلى اذرعات <sup>(\*)</sup> بالشام <sup>(٥)</sup> .

وغمى منهم سلاحاً كثيراً وآل صياغتهم <sup>(٦)</sup> ، لأنهم لا يمتلكون أراض زراعية فانزل لهم (ﷺ) قوله على لسان رسوله (ﷺ) : ﴿فُلِلَّذِينَ كَفَرُوا سَنُغْلِبُهُنَّ وَنُخْسِرُهُنَّ إِلَى جَهَنَّمَ وَنُسَيِّسَ الْمِهَادُ﴾ <sup>(٧)</sup> .

وكذلك قوله تعالى : ﴿كَمَثَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ <sup>(٨)</sup> .

أما بنو النضير : فقد ظلوا يعيشون بأمان في ظل العهد الذي عقدوه مع رسول الله (ﷺ) ولكنهم لم يستمروا على ذلك ، ففي السنة الرابعة للهجرة تآمروا على اغتيال النبي (ﷺ) ، ولما علم بذلك أمر المسلمين بالتهيؤ لحربيهم والسير إليهم حتى نزل بهم وحاصرهم فتحصنوا في حصونهم <sup>(٩)</sup> ، وتعد سورة الحشر من السور التي انزلها (ﷺ) على رسوله الكريم وفيها تصوير موجز وبلغ

<sup>١</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/548 .

<sup>٢</sup> (? ) سورة البقرة ، الآية : 99 .

<sup>٣</sup> (? ) سورة البقرة ، الآية : 89 .

<sup>٤</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 1/510 .

<sup>\*</sup> (\*) اذرعات : بلد في أطراف الشام يجاور أراضي البلقاء وعمان .

ينظر: ياقوت الحموي ، مجمع البلدان ، 1/162 .

<sup>٥</sup> (?) الواقدي ، المغارزي ، 180-1/177 .

<sup>٦</sup> (? ) الطبرى ، تاريخ ، 2/479 .

<sup>٧</sup> (? ) سورة آل عمران ، الآية : 12 ، ابن هشام ، السيرة ، ق 2/47 .

<sup>٨</sup> (? ) سورة الحشر ، الآية ، 15 : ابن كثير ، البداية والنهاية ، 4/3 .

عِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا طَئِنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنَنْتُمُوهُمْ مَانِعِنَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَنِّي الْمُؤْمِنُ فَاعْتَرُوا يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ﴾<sup>(1)</sup>

وَكَانَ تَخْرِيبُهُمْ لِبِيوْتِهِمْ ، حِيثُ كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ وَعَتْبَةَ بَابِهِ وَيَضْعِفُهَا عَلَى ظَهَرِ بَعِيرِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ<sup>(2)</sup> ، وَالْقَى (ﷺ) الرُّغْبَةَ فِي قُلُوبِهِمُ الْمُسْلِمِينَ وَاخْذُوهَا فِي الْجَهَازِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ جَاءُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَلْوَلَ وَفِي رِوَايَةِ جَاءَ بَنُو النَّضِيرِ بْنَ نَفْسِهِ فَقَالَ لَهُمْ : (اَثْبِتوْا وَتَمْنَعُوْا فَانَا لَنْ نَسْلِمُكُمْ إِنْ قُوْتَلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ وَإِنْ اُخْرَجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ)<sup>(3)</sup> ، وَقَدْ صَوَرَ لَنَا الْوَحْيُ مَا دَارَ مِنْ حَوَارٍ بَيْنَ هُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَأْفَقُوا يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرَجْتُمْ لَتَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِيْكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوْتَلْتُمْ لَتَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَسْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾<sup>(4)</sup> .

وَيَبْدُو مِنْ خَلَالِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودَ كَانُوا جَبَهَةً وَاحِدَةً دَاخِلَّ الْمَدِينَةِ ضَدَّ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) بِقَطْعِ النَّخِيلِ وَالتَّحْرِيقِ لِيُسَافِدُوا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّمَا عَقَابًا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصْوَلِهَا فَيَأْذِنُ اللَّهُ وَلِيُخْرِيَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(5)</sup> .

فَلَمَّا رَأَوُا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِالْمُقاوْمَةِ طَلَبُوا الصَّلْحَ ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) أَنْ يَحْلِيَهُمْ وَيَكْفُ عنِ دَمَائِهِمْ عَلَى أَنْ لَهُمْ مَا حَمَلُتُ الْإِبْلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْحَلْقَةَ ، فَنَزَّلَ الْقَسْمَ الْأَكْبَرَ مِنْهُمْ فِي خَيْرٍ وَذَهَبَ آخْرُوهُنَّ إِلَى اذْرِعَاتِ مِنْ حِيثُ أَتَوْا<sup>(6)</sup> ، كَمَا فِي قَوْلِهِ

<sup>١</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 190/2-191/2 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 2/57 ؛ الطبرى ، تفسيره ، 28/29 .

<sup>٢</sup> (؟) سورة الحشر ، الآية : 2 .

<sup>٣</sup> (؟) ابن هشام ، ق 190/2-192/2 ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 25؛ الطبرى ، تفسيره ، 28/27 .

<sup>٤</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 192/2-193/2 .

<sup>٥</sup> (؟) سورة الحشر ، الآية : 11 ؛ ينظر أيضًا الآية : 12-13 مِنْ سورة الحشر تصف هُؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ .

<sup>٦</sup> (؟) سورة الحشر ، الآية : 5 ، وَاللَّيْنَ يَعْنِي النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ ؛ الطبرى ، تفسيره ، 28/33 .

<sup>٧</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 191/2 ؛ ينظر الطبرى ، تفسيره ، 28/28 .

تعالى : ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفُتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(1)</sup>.

وبعد خذلان الأحزاب وانسحابهم من المدينة ، قرر الرسول التخلص من بني قريظة أيضًا وذلك لتمردهم على المسلمين وخيانتهم للعهود<sup>(2)</sup> ، بعد أن حكم عليهم سعد بن معاذ وقد نفذ بهم الرسول قصاصه العادل جزاءً على خيانتهم وقد جاء تفصيل ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ فَامَّا تَنْقِضُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدُوهُمْ مَنْ حَلَفُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ فَامَّا تَخَافُنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنِيدُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

فإذا خفت من عدو بينك وبينهم عهد أن يغدروا بك فناجرهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك إياهم إنك فسخت عهدهم بسبب ظهور أسباب الغدر والخيانة<sup>(4)</sup> .

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُمَّ طَاهِرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَنَاعِيهِمْ وَقَذَفُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَأُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾<sup>(5)</sup>.  
غزوة خيبر (\*) :-

بعد التخلص من يهود بني قريظة لم يعد لليهود نفوذ في المدينة وأصبحت السيادة المطلقة في مجتمع المدينة للمسلمين ولسلطة الرسول (ﷺ) غير أن اليهود الذين أجلاهم الرسول من بني قريظة وبني النضير تجمعوا في حصن خيبر اليهودية التي تقع

<sup>1</sup> (?) سورة الحشر ، الآية : 6 ; فكانت اموال بني النضير مما أفاء الله ورسول ولم يوصف المسلمين عليها بخيل أو ركاب ، فكانت خالصة لرسوله : القرطبي ، تفسيره ، 13/18.

<sup>2</sup> (?) ابن سلام ، الأموال ، ص100 : هارون ، عبد السلام ، تهذيب السير لأبن هشام ، دار سعد ، (القاهرة-1955) ، 2/301 .

<sup>3</sup> (?) سورة الأنفال ، الآية : 56-58 .

<sup>4</sup> (?) الطبرى ، تفسره ، 10/26 .

<sup>5</sup> (?) سورة الأحزاب ، الآية : 26-27 ، وصياصيهم : أي حصونهم ، وهو كل ما يمتنع به ، وقيل القصور لأنه يتحصن بها ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 14/474 .

(\*) خيبر : هي مدينة غنية بمزروعاتها من بساتين التحيل والحبوب ، ولهم معاهدات مع يهود فدك ووادي القرى وتيماء . واهم حصونهم السلام والقموص والنطاه والقصارة والشق والمراقبة . ينظر : الواقدي ، المغارزي ، 609-2/609 ؛ ابن هشام ، السيرة ، ق2/331 .

على بعد مائة ميل باتجاه الشمال ، وأصبحوا يمثلون خطرًا على المسلمين بسبب استمرارهم على التآمر والتحريض ، لذلك قرر الرسول (ﷺ) التخلص من هذه البؤرة التي تهدد دولة المدينة .

فبعد رجوع الرسول (ﷺ) من الحديبية تفرغ لمواجهة اليهود في خيبر ، وحاصرهم في جماد الأول سنة سبع للهجرة<sup>(1)</sup> ، وقد أراد الكثير من الأعراب ممن تخلفو عن الحديبية المشاركة في فتح خيبر طمعاً في مغانمها ولكن الرسول (ﷺ) رفض ذلك لأن مغانمها وعد الله بها المسلمين الذين شاركوا في الحديبية<sup>(2)</sup> فقال رسول الله (ﷺ) : **(لا يخرجن معنا إلا راغب في جهاد)**<sup>(3)</sup> وقد صور هؤلاء الطامعين بقوله تعالى : **إِنْ سَيَقُولُ الْمُخْلَفُونَ إِذَا انْطَلَقُتُمْ إِلَى مَعَانِيمَ لَتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَبَعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَبَعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا**<sup>(4)</sup>

ونزل رسول الله (ﷺ) في الرجع ليحول بين غطفان في إعانة خيبر لأنها مظاهره لهم على المسلمين<sup>(5)</sup> ، وحاصر المسلمين خيبر وفتحوها حصناً ، فكانت مما فتح المسلمون عنوة<sup>(6)</sup> ، وصالحهم رسول الله (ﷺ) على نصف ثمارها<sup>(7)</sup> ، وكذلك مع يهود فدك وتيماء ووادي القرى<sup>(8)</sup> ، كما جاء في قوله تعالى : **إِنَّمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَسُولُهُ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْبَنَامِي وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّيْلِ كَيْنَ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَعْنَيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا لَتَأْكُمُ الرَّسُولُ فَحْدُوهُ وَمَا تَهَاكُمْ عَنْهُ فَاقْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**<sup>(9)</sup> .

<sup>1</sup> (؟) ابن سعد ، الطبقات ، 2/106 .

<sup>2</sup> (؟) الطبرى ، تفسيره ، 26/80 ; ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 2/147 .

<sup>3</sup> (؟) ابن سعد ، الطبقات ، 2/106 .

<sup>4</sup> (؟) سورة الفتح ، الآية : 15 ، الغنيمة : هي كل ما حصل عليه المسلمون من الأعداء عنوة وقهراً عن طريق القتال وهي النفل أو غنائم المسلمين في معركة بدر وتقسم حسب ما جاء في سورة الأنفال ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 137 .

<sup>5</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/330 .

<sup>6</sup> (؟) المصادر ، نفسه ، ق 2/330 .

<sup>7</sup> (؟) ابن سلام ، الأموال ، ص 110 .

<sup>8</sup> (؟) الواقدي ، المغازى ، 2/706 ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 41-43 .

<sup>9</sup> (؟) سورة الحشر ، الآية : 7 ، والمعنى هو كل كال وصل من المشركين عفواً من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب ؛ الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص 126 .

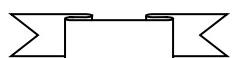
أي ما أخذتموه عنوة من مشركي أهل الكتاب ، فيقسم على هذه الأصناف المذكورة في الآية حتى لا يكون دولة يتداولها الأغنياء بينهم<sup>(1)</sup> .

## الفصل الخامس الخطوات والمراحل الأخيرة في وحدة الجزيرة والخضوع لدولة المدينة :-

صلاح الحديبية<sup>(\*)</sup> :-

---

<sup>1</sup> . 28/39) الطبرى ، تفسيره ،



خرج الرسول (ﷺ) في ذي العقدة سنة ست للهجرة (**أي في السنة التي تلت موقعة الأحزاب**) معتمراً لا يريد حرباً في ألف وأربعين ألف وستمائة<sup>(1)</sup> ، واستنفر الرسول العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، فأبضاً عليه كثير من الأعراب كعادتهم معذرين<sup>(2)</sup> ، وخرج معه فقط بدو خزاعة<sup>(3)</sup> ، ويدرك أن سبب دعوة الرسول الأعراب على الرغم من عدم إسلامهم ، ليشعر قريش انه جاء معتمراً وليس محارباً وان فريضة الحج مقدسة عند المسلمين كما هي عند سائر العرب<sup>(4)</sup> .

وقد وصف القرآن الكريم الأعراب بأنهم قوم لا خير فيهم وكشف زيف اعتذارهم المبني على النفاق وليس عن نية صادقة<sup>(5)</sup> ، كما في قوله تعالى : **سَيِّقُولُ لَكَ الْمُخْلُفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنَّةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيِّرًا**<sup>(6)</sup> .

وقد اعلم (ﷺ) نبيه الكريم السبب الحقيقي لعدم خروجهم مع النبي كما في قوله تعالى : **إِلَّا طَنَّتِمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرُبَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَّتِمْ طَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا**<sup>(7)</sup> .

فلما سمعت قريش بخروج النبي (ﷺ) اجمعوا رأيهم على صده عن المسجد الحرام وجهزوا قوة من مائتي فارس إلى كراع الغيم لرد المسلمين ، فبعث رسول الله قوة من المسلمين لردمهم فردوهم إلى حيطان مكة ثلاث مرات<sup>(8)</sup> ، كما جاء في قوله تعالى : **وَهُوَ الَّذِي كَفَ أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ يَبْطِلُنِ مَكَةً مِنْ بَعْدِ أَنْ أَطْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً**

<sup>1</sup> (\*) الحديبية وهي اقرب حدود الحرم الى مكة . ينظر: ابن هشام ، السيرة ، ق 310 .

<sup>2</sup> (?) المصدر نفسه ، ق 308 .

<sup>3</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 118/26 .

<sup>4</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 308 / 2 ; مونتجومري / وات ، محمد في المدينة ، ص 69 .

<sup>5</sup> (?) الشريف ، مكة والمدينة ، ص 461 .

<sup>6</sup> (?) الطبرى ، تفسيره ، 78/26 .

<sup>7</sup> (?) سورة الفتح ، الآية : 11 .

<sup>8</sup> (?) سورة الفتح : الآية : 12 .

<sup>9</sup> (?) الطبرى ، تاريخ ، 2/623 : وفي رواية أن الرسول سلك طريقاً غير طريقهم .

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدِي  
مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحْلَهُ وَلَوْلَا رَجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ  
مُؤْمِنَاتٍ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَأُوهُمْ فَتُنْصِبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً  
يُغَيِّرُ عِلْمَ ... <sup>(1)</sup>

وذلك أن كف الله أيدي المشركين من أهل مكة عن أهل الحديبية ، والهدي محبوس أن يصل محل نحره في البيت الحرام <sup>(2)</sup> ، وكان في مكة رجال ونساء مؤمنين لم يعلمهم المسلمون ولو دخلوا مكة في ذلك العام لوطئتهم خيلهم بغير علم فتصبهم من ذلك معرة ، فردهم الله عن مكة من أجل ذلك ، وأرسل الرسول (ﷺ) عثمان بن عفان (ﷺ) إلى أبي سفيان وأشراف قريش ليعرفهم إن المسلمين لم يأتوا لحرب وإنما جاءوا زائرين ومعظمين لهذا البيت ، فحبسته قريش <sup>(3)</sup> ، فبلغ رسول الله انه قتل ، فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا (ﷺ) إلى بيعة الرضوان تحت شجرة سمرة وقد بايع المسلمون على أن لا يفروا فنزل الوحي على رسول الله (ﷺ) يبلغه برضا الله عن المبايعين لما علم من صدق نيتهم ووفائهم ، فأنزل عليهم الطمأنينة والثبات على دينهم وسيعوضهم (ﷺ) عن فتح مكة بفتح قريب ، وهو خير <sup>(4)</sup> ، كما في قوله تعالى : **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُتَابِعُونَكَ**  
**تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ**  
**عَلَيْهِمْ وَأَنَّابَهُمْ فَتَحَّا قَرِيبًا** <sup>(5)</sup>.

أما قريش فقد أرسلت سهيل بن عمرو لعقد الصلح فأجاب (ﷺ) بالقبول وحدثت المفاوضات ، وتوصلا إلى عقد وثيقة بالصلح ، ولكنهم اختلفوا في صياغة بعض فقراتها ، وقد اظهر الرسول (ﷺ) في هذا الصلح مرونة سياسية كبيرة على الرغم من اعتراض بعض الصحابة ، متوجهين بان الرسول قد أبدى بعض التنازلات إلى قريش ، ومن ذلك ما كتب في بداية الصحيفة (**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ**  
**بِدَلًا مِنْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) ، ومحمد بن عبد الله بدلاً من محمد رسول الله ، لذلك فقد رد الرسول على المعترضين بأن اسمي **بِاسْمِكَ** أبي لا يذهبان بنيوتني <sup>(6)</sup> ، كما في قوله تعالى : **إِذْ جَعَلَ الدِّينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيمَةَ**

<sup>1</sup> (? ) سورة الفتح ، الآية : 24 ، ومن الآية : 25 : الطبرى ، تاريخ ، 2/622 :

الطبّارى ، تفسيره ، 94-26/90 .

<sup>2</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 107-26/90 .

<sup>3</sup> (? ) المصدر ، نفسه ، 107-26/100 .

<sup>4</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، 89-26/88 .

<sup>5</sup> (? ) سورة الفتح ، الآية : 18 .

<sup>6</sup> (? ) اليعقوبي ، تاريخ ، 2/41 .

**حَمِيمَةُ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْمَهُمْ كَلِمَةً التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلَهَا  
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا<sup>(1)</sup>.**

وهي كلمة لا اله إلا الله واستكبه عنها المشركون يوم الحديبية<sup>(2)</sup>، وقد سجل القرآن الكريم أحداث صلح الحديبية وظروف عقدها ووعدهم فيها بفتح مكة والنصر القريب ، كما جاء في قوله تعالى : **«الْقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ  
لَتَذْخُلُنَّ الْمَسْجَدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ  
رُؤُوسَكُمْ وَمُمَقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ  
مِنْ دُونِ ذِلِّكَ فَتْحًا قَرِيبًا<sup>(3)</sup>»**.

وهي الرؤيا التي أراها الله لرسوله الكريم بدخوله المسجد الحرام ، وقد بشر الرسول بها أصحابه ، فكان صلح الحديبية بحق نصراً مبيناً ، كونه حق هدنة مع أقوى أعدائه لمدة عشر سنوات ، ضمنت له حرية العمل والحركة لنشر الدعوة الإسلامية وعقد المحالفات واكتسب المسلمين مكانة وسمعة في أرجاء الجزيرة العربية .

ويذكر الواقدي<sup>(4)</sup> قائلاً : إن الهدنة على الرغم من قصرها إذ لم يطل أمدها من توقيعها حتى نقضها اثنين وعشرين شهراً ولكن كانت أهميتها ونتائجها عظيمة إذ دخل الإسلام في كل ناحية من نواحي العرب ، ومنهم قبيلة خزاعة التي كانت تشكل جزءاً رئيساً من جيش الأحابيش التي تحمي مكة ، ودخول هذه القبيلة بحلف مع المسلمين ضمن جزء كبير من هذه القوة إلى جانبه واضعف بذلك مركز قريش الحربي إلى حد كبير<sup>(5)</sup> ، وكذلك اسلم الكثير من شباب قريش وشجاعتها وقد نزل القرآن معتبراً عن أهمية هذا الصلح في قوله تعالى : **«إِنَّا فَتَحَنَّا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا<sup>(6)</sup>»**.

تعد هذه المعاهدة في حقيقتها نصراً للإسلام ، فقد قبلت قريش أن تعامل النبي ﷺ الذي فر من وجهها منذ ست سنوات معاملة النظير وان تعترف بسلطانه السياسي والديني بدليل وضع شروط في المعاهدة تضمن حرية المرور إلى الشام ، ووضع

<sup>¹</sup> (؟) سورة الفتح ، الآية : 26.

<sup>²</sup> (؟) الطبرى ، تفسيره ، 26/103.

<sup>³</sup> (؟) سورة الفتح ، الآية : 27.

<sup>⁴</sup> (؟) المعاذى ، 2/624.

<sup>⁵</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 312/2 : الشريف ، مكة والمدينة ، ص 469.

<sup>⁶</sup> (؟) سورة الفتح ، الآية : 1 ، وفي رواية عن الزهرى يذكر إن هذه الآية

نزلت على رسول الله ﷺ في طريق عودته من مكة إلى المدينة ؟

الطبرى ، تفسره ، 15/143.

شرط آخر يضمن حرية زيارة الكعبة ، أما ما يظهر من الإجحاف في الشرط التي تتحتم على النبي (ﷺ) أن يرد من جاء من قريش راغباً في الإسلام ، دون إذن من وليه على أن لا ترد قريش من جاءها من أصحاب محمدٍ (ﷺ) مرتدًا ، فوجه الحكمة فيه أن محمداً (ﷺ) كان يتذرع بالصبر والسياسة والأيمان بالله ، للوصول إلى غرضه وإن يثق بأصحابه ، ويتأكد أن واحداً منهم لم يرجع إلى المشركين ، وإن رجع فلا نفع للمسلمين في أمثاله<sup>(1)</sup> .

### فتح مكة :-

في العام الثامن من الهجرة دخلت قريش وبعدها ثقيف وغيرها من القبائل الإسلام وأصبحت المدن الحجازية الثلاث (مكة والطائف والمدينة) نواة لدولة الإسلام الجديدة ، والتي مهدت إلى انتشاره فيما بعد في كافة ربوع الجزيرة العربية وأخضعت المرتدين بعد وفاة الرسول (ﷺ) .

كان حلم العودة إلى مكة يراود خيال النبي والمهاجرين على الرغم من اندماجهم في مجتمع يشرب الجديد ، وكان صلح الحديبية الذي عقدته قريش مع المسلمين قد جدد الأمل في إمكانية تحقيق ذلك ، خصوصاً وإن الله في كتابه العزيز قد وعدهم بالنصر والفتح القريب ، إلا أن هذا النصر القريب الذي كان يتنتظره المسلمون سوف لا يتحقق إلا بعد عشر سنوات ، بعد انقضاء مدة الهدنة التي عقدت بين الطرفين المتحاربين .

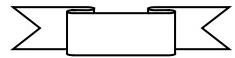
ولكن لم يمض على الهدنة أكثر من سنتين حتى نقضت قريش هذه المعاهدة<sup>(2)</sup> ، حين نصرت حليفتها قبيلة بكر على حليفة النبي قبيلة خزاعة<sup>(3)</sup> ، لذلك فقد عَذَّ النبي أن مدة الهدنة قد ألغيت وعزم على دخول مكة ، وطلب من المسلمين التهيئة والاستعداد للحرب ، فكتب حاطب بن أبي بلتعة وهو أحد المسلمين المكيين المهاجرين محذراً قومه قريش ومعلماً إياهم بالأمر<sup>(4)</sup> ، ولكن الرسول علم بالرسالة واسترجعها قبل وصولها ووبخ صاحبها ، وقد جاء القرآن الكريم ليسجل هذه الحادثة وفيها يحذر المسلمين من موالة الأعداء الكفار على إخوانهم المسلمين ، كما في قوله تعالى : **إِنَّمَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلَيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ**

<sup>1</sup> (? ) الطيباوي ، محاضرات ، ص 15 .

<sup>2</sup> (? ) الواقدي ، المغازى ، 2/624 .

<sup>3</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 2/134 ؛ الازرقى ، أخبار مكة ، 2/146 .

<sup>4</sup> (? ) الطبرى ، تاريخ ، 48-3/49 .



**الْحَقُّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجُنَّمْ جَهَادًا فِي سَبِيلِي وَأَبْتَغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوْدَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَثْتُمْ وَمَنْ يَقْعَلُهُ مِنْكُمْ فَقَدْ صَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلٌ<sup>(1)</sup>.**

ففرعت قريش من جيش الفتح وهو يقترب من مشارف مكة ، وندمت على نقضها المعاهدة وهرعت إلى أبي سفيان لمعالجة الأمر ، وقد توصل أبو سفيان مع الرسول (ﷺ) إلى حل سلمي<sup>(2)</sup> ، وهو دخول المسلمين إلى مكة مقابل العفو العام لأهلها ، وقد وفي الرسول بهذا العهد ، حين خاطبهم : **(اذهبوا فأنتم الطلقاء)<sup>(3)</sup>**.

وبذلك أصبحت الرؤيا التي رأها الرسول قبل سنتين حقيقة كما وعده الله تعالى في قوله : **『لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَذَلُّلُ الْمَسْجَدِ الْحَرَامِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ مُّحَلَّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُّقْصَرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا』<sup>(4)</sup>**.

كان لفتح مكة نتائج وأثار سياسية ودينية كبيرة ، بعيدة المدى ، ذلك أن مكة كانت تمثل أكبر مركز للوثنية في الجزيرة العربية ، كما كانت قريش تمتلك الثروة والسطوة والتأثير على القبائل ، وان خصوتها لدولة الرسول في المدينة أعطى للمسلمين أهمية ومكانة كبيرة ، وكسر حاجز الخوف عند القبائل المترددة في الدخول إلى الإسلام ، ولعل من الجدير ذكره حول فتح مكة أن الأنصار وهم عرب اليمن القحطانية كان لهم رأي آخر في معاملة قريش العدنانية ، إذ كان في نيتهم أن ينتقموا من كفار قريش ويستبيحوا مكة ثاراً لقتلاهم في بدر وأحد وغيرها من المعارك<sup>(5)</sup> ، ولكن الرسول وكثير من المهاجرين كانوا يفضلون الحلول السلمية مع أهلهم وعشائرهم ومدينتهم وكان يعز عليهم تدميرها واستباحتها وفيها بيت الله الحرام .

وتتجلى في هذا الفتح سياسة النبي (ﷺ) بأوضح صورها ، ففي الناحية الدينية لم يكن هناك مجال للمساومة أو هوداها ، فمحمد

<sup>1</sup> (? ) سورة الممتننة ، الآية : 1 .

<sup>2</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/403 .

<sup>3</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، ق 2/137 .

<sup>4</sup> (? ) سورة الفتح ، الآية : 27 : الطبرى ، تفسير ، 3/332 .

<sup>5</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/406 - 415 ، حيث تذكر الروايات أن سعد

بن عبادة قال عند دخوله مكة : (اليوم يوم الملحة ، اليوم تستحل الحرمـة) .

رسول الله يدعو إلى التوحيد وتحطيم الوثنية ومظاهرها ، وقد نفذ ذلك على أتم وجه .

أما من الناحية السياسية المدنية فقد تجلى التسامح واصطدام الناس بأجل مظاهره ، فأعداء الأمس أصبحوا بفضل هذه السياسة أتباع اليوم وأعوان الغد ، فأبوا سفيان هذا قد سار مع النبي (ﷺ) بعد أسبوعين من فتح مكة محارباً مع صنوف المسلمين وقد أعطاهم رسول الله (ﷺ) كما أعطى سائر الأشراف من المؤلفة قلوبهم<sup>(\*)</sup> نصيباً وافراً من الغنائم ، حتى ألح بعض الأنصار في الاحتجاج على هذا التسامح والاصطدام مع أعداء الإسلام بالأمس<sup>(1)</sup> ، وبدؤوا يتخوفون من بقاء الرسول (ﷺ) في المدينة وربما كانوا يظنون أنه سيترك يثرب ويستغني عنهم ويستقر في مكة .

لذلك فان الرسول عالج الموضوع بحكمة ودبلوماسية وبدد مخاوفهم قائلاً : **(معاذ الله المحيا محياكم ، والممات مماتكم)**<sup>(2)</sup> ، ورجع معهم الى المدينة قاطعاً كل الأقاويل بعد أن أمر بتحطيم جميع الأصنام والأوثان وإزالة الصور والرسوم .

### الطائف (حنين)<sup>(\*)</sup> :-

بعد انتهاء الرسول (ﷺ) من فتح مكة عزم على التوجه الى الطائف وهي ثالث مدينة كبرى في الحجاز وإحدى القرىتين الموجلة بالوثنية ، كما في قوله تعالى : **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِئَيْتِينَ عَظِيمٍ﴾**<sup>(3)</sup> ، وفيها مصالح قريش واستثماراتهم الزراعية ، ولم يمض أكثر من أسبوعين على فتح مكة حتى حدثت معركة حنين في ثمان ماضت من شوال سنة 8هـ ذلك أن قبائل هوازن وثقيف التي كانت تقيم قريباً من مكة وتملك الطائف عدّت

\*  
(\*) والم مؤلفة قلوبهم : كما يذكر ابن اسحاق : (كانوا اشرافاً من اشراف الناس ، يتألفون ويتألف بهم قومهم) فقد اعطاهم الرسول من الغنائم ما يتناسب ومكانته كل واحد منهم في قومه ، والخدمات التي قدمها للمسلمين او التي يتوقع منه ان يقدمها ؛ ولمزيد من التفاصيل ومعرفة اسماء هؤلاء ينظر ابن هشام ، السيرة ، ق 2/492 ؛ وينظر ، ابن حبيب ، المحرر ، ص 473-474 .

<sup>1</sup>  
(?) عبد اللطيف الطبياوي ، محاضرات ، ص 16 .

<sup>2</sup>  
(?) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/416 .  
(\*) حنين : هو وادي الى جنوب ذي المجاز وبين هذا الوادي ومكة ثلاث ليال . ينظر: الطبرى ، تاريخ ، 3/70 ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، 1/175 .

<sup>3</sup>  
(?) سورة الزخرف ، الآية : 31 .



فتح مكة ضربة موجحة لها ثم سيأتي دورها بعد ذلك<sup>(1)</sup> ، واعدت هوازن وثقيف عدتها وحشودها ونزلوا بوادي اوطاس من حنين ، أما الرسول (ﷺ) فقد خرج إليهم في اثنى عشر ألفاً من المسلمين ، عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان من مكة ومنهم بعض المشركين<sup>(2)</sup> ، وقد فاجأت هوازن جيش المسلمين في وادي حنين بهجوم مباغت انهزم فيها المسلمين وتركوا الرسول (ﷺ) مع فئة قليلة من صحبه المؤمنين الذين ثبتوه في المعركة ونادى رسول الله (ﷺ) وعمه العباس المسلمين الفارين فعادوا للتجمع حول الرسول (ﷺ) وانزل (ﷺ) الأمن والطمأنينة على رسوله والمسلمين وحولوا الهزيمة إلى نصر بعد أن أعجبتهم كثرةهم في البدء وظنوا أن لا غالب لهم<sup>(3)</sup> ، وفي ذلك يخاطب الله (ﷺ) المسلمين ويشخص مواطن الضعف فيهم : **اللَّهُمَّ تَصَرَّكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنٍ كَثِيرَةٍ**  
**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَغْرَيْتُكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُعْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا**  
**وَصَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُذْبِرِينَ**<sup>(4)</sup> .

فكان درساً آخر للمسلمين يستخلصون منه العبر والدروس وهو أن الغلبة لا تكون بالكثرة وإنما تكون بالمؤمنين الصابرين لا تكون الغلبة إلا بتأييد الله ونصره كما نصرهم في المعارك السابقة ، وعذب الذين كفروا وجحدوا وحدانيته ورسالته ورسوله الكريم بالقتل والسببي وسلب الأموال والإذلال<sup>(5)</sup> ، وقد رسم لنا القرآن الكريم صورة معبرة لهذه الأحداث كما في قوله تعالى : **إِنَّمَا**  
**أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ**  
**جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الدِّينَ كَفَرُوا وَدَلِلَ جَرَاءُ الْكَافِرِينَ**<sup>(6)</sup> .

وتحصن من فر من المعركة من ثقيف وهوازن في الطائف فحاصرهم رسول الله (ﷺ) بضعة وعشرين يوماً<sup>(7)</sup> ، ثم جاء بعد ذلك وفدهم معلنا إسلامه ، فرد عليهم الذريعة والنساء ، وكذلك فعل الأنصار والمهاجرون<sup>(8)</sup> ، كما في قوله تعالى : **إِنَّمَا يَتُوبُ**  
**اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذِلْكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ**<sup>(9)</sup> .

<sup>(1)</sup> ابن سعد ، الطبقات ، 2/150 .

<sup>(2)</sup> المصدو ، نفسه ، 2/150 .

<sup>(3)</sup> الطبرى ، تفسيره ، 10/104 .

<sup>(4)</sup> سورة التوبة ، الآية : 25 .

<sup>(5)</sup> الطبرى ، تفسيره ، 10/104 .

<sup>(6)</sup> سورة التوبة ، الآية : 26 .

<sup>(7)</sup> الباعقوبى ، تاريخ الباعقوبى ، ص 49 ; الطبرى ، تفسيره ، 10/104 .

<sup>(8)</sup> ابن حبيب ، المحير ، ص 473 ; ابن قتيبة ، المعرف ، ص 149 .

<sup>(9)</sup> سورة التوبة ، الآية : 27 .

غزوَةٌ تِبُوكَ<sup>(\*)</sup> :-

بعد أن توحدت مدن الحجاز ودانت القبائل العربية طوعاً أو كرهاً ، فكر الرسول<sup>(1)</sup> أن يمدد نفوذ دولة الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية خصوصاً وإن الإسلام دين عالمي جاء للعالم كافة وللعرب خاصة كما في قوله تعالى :

**إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِهً لِلنَّاسِ بَشِيرًاً وَتَذِيرًاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(1)</sup>.**

**إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ<sup>(2)</sup>.**

واختلف المؤرخون العرب في الأسباب الحقيقة لهذه الحملة فالواقدي يقول : إن السبب في ذلك وصول الأخبار إلى الرسول بتجمع الروم مع قبائل لخم وغسان وجذام وعاملة ، وتحشدتهم في البلقاء لغزو المسلمين<sup>(3)</sup> .

في حين يذكر البيعوبي<sup>(4)</sup> سبباً آخر وهو المطالبة بدماء من استشهد في معركة مؤتة<sup>(\*)</sup> ، ففي السنة التاسعة من الهجرة أمر النبي بالتجهيز لغزو الروم وسمي هذا الجيش بجيش العسرة كما جاء في قوله تعالى : **إِنَّمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَلِأَنَّ الْأَنْصَارَ الَّذِينَ أَتَبْعَوْهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيدُ فُلُوبُ قَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا يَهُمْ رَؤُوفُ رَحِيمُ<sup>(5)</sup>.**

(\* ) وهي منطقة شمال شبه الجزيرة العربية ويقال هو موضع بين وادي القرى والشام ، وقيل هو بركة لأبناء سعد من بني عذرة ، وكانت تحت نفوذ الإمبراطورية البيزنطية ، ويعتبر الجيش الذي جهزه الرسول في هذه الغزوة أضخم جيش جهزه الرسول . ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 2/14 ، 2 ؛

مونتgomery / وات ، محمد في المدينة ، ص 674 .

<sup>1</sup> (? ) سورة سباء ، الآية : 28 .

<sup>2</sup> (? ) سورة الأنبياء ، الآية : 107 .

<sup>3</sup> (? ) الواقدي ، المغازي ، 3/990 .

<sup>4</sup> (? ) تاريخ البيعوبي ، 2/51 .

(\* ) غزوَةٌ مؤتة : وهي أول غزوات المسلمين ضد الروم استشهد فيها ثلاثة قادة من المسلمين وبلغ تعداد جيش المسلمين ثلاثة الاف مقاتل ، والروم مائة الف مقاتل وانتهت بانسحاب المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، ومؤتة موضع من ارض الشام دون دمشق . ينظر: البكري ، معجم ما استجم ، 4/172 .

<sup>5</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 117 .

وتذكر الروايات أن الناس في الجدب الذي أصاب البلاد والحر الشديد والناس في عسر الماء والزاد حتى كان الرجال يشقان التمرة بينهما<sup>(6)</sup>.

ولهذا تاب الله عليهم ، واقترن ذلك بطيب الثمار وحب الناس في أن يقيموا في ثمارهم وظلالهم . فعاقبهم (ﷺ) بقوله : **إِيَّاهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثْقَلْتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِبْتُمُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَاعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**<sup>(2)</sup> .

وبعث رسول الله (ﷺ) إلى القبائل والى مكة يستنفرهم الى هذه الغزوة وحث رسول الله (ﷺ) المسلمين على القتال والنيل من أعداء الله من الروم وحث (ﷺ) المسلمين على النفير والخروج في المنشط والمكره والعسر واليسير شباباً

وشيوخاً<sup>(3)</sup> ، كما في قوله تعالى : **أَنْفَرُوا حِفَافًاً وَثَقَالًاً وَجَاهُدُوا بِمَا مَوَالُكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**<sup>(4)</sup> ، وتأهب الرسول (ﷺ) لهذه الغزوة ، وجاءه المعدرون من الأعراب ، فاعتذر إليه ويقال أنهم نفر منبني غفار ليؤذن لهم فلم يعذرهم الله تعالى<sup>(5)</sup> ، قليلٌ تعالى : **وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولُهُ سَيِّئِ الْدِينِ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**<sup>(6)</sup> .

وحث الرسول (ﷺ) أهل الغنى على النفقة ، فانفق كل بحسب طاقته وحتى الضعفاء من المسلمين أيضاً ساهموا ، ولم يسلم احد من لمز المنافقين في نفقتهم سواء كان غني أم فقير أعبوا عليه ، فوبخهم (ﷺ) أشد توبخ وتوعدهم بعذاب اليم ، كما في قوله تعالى : **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ**

<sup>6</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 516/2 ; ابن كثير ، تفسيره ، 2/357 .

<sup>2</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 38 .

<sup>3</sup> (? ) ابن كثير ، تفسيره ، 2/359 .

<sup>4</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 41 . ينظر: محمد ، محمد مصطفى ، الفهرس الموضوعي لآيات القرآن ، مطبعة الأوقاف ، (بغداد-1983) ، ص 348-350 .

<sup>5</sup> (? ) الواقدي ، المغازي ، 991-3/993 : الطبرى ، تاريخ ، 102/3-3/102 .

<sup>6</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 90 ، ونلاحظ في سورة التوبه وبهذه الغزوة يأمر (ﷺ) بجهاد المنافقين بالسان والكفار بالسيف حيث كان رسول

الله (ﷺ) قبل ذلك يعفو عنهم . ينظر: سورة التوبه : الآية 73 ، كما في قوله تعالى :

**(إِيَّاهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)** . ينظر: محمد مصطفى ، الفهرس

الموضوعي ، ص 350 .



**الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحْدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**  
**فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخْرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ<sup>(1)</sup>**  
 وجاءت سورة التوبية<sup>(\*)</sup> لتصور لنا أحاديث هذه الغزوة وظروفها تصويراً معبراً عن أدق المواقف والظروف وخاصة ادعاءات المنافقين وكما يبدو لنا أن في هذه الغزوة بزء المنافقون بنفاقهم<sup>(2)</sup> والتي أرادها الله (ﷺ) أن تكون اختباراً لصدق إيمان المؤمنين وفضح زيف من يدعون الأيمان ويستترون وراءه ، هؤلاء المنافقين المحسوبين على الإسلام ، كما يصفهم (ﷺ): **إِنْ تُصِبِّكَ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبِّكَ مُصِبَّةٌ يَقُولُوا قَدْ أَحَدَنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلُّوا وَهُمْ فَرَحُونَ<sup>(3)</sup>**.

ومنهم الجد بن قيس والذي تخلف أيضاً عن بيعة الرضوان ، في بينما النبي (ﷺ) يتجهز لهذه الغزوة قال للجد بن قيس يا جد هل لك في جlad بن الأصفر ؟ فقال يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني ؟ لشدة إعجابه النساء<sup>(4)</sup> ، كما في قوله تعالى : **وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتَنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُجِيَطَةٍ بِالْكَافِرِينَ<sup>(5)</sup>** . أي فتنة النساء التي كانت يخشاها ليست أكبر من تخلفه عن رسول الله وجهاً عدوه<sup>(6)</sup> . ففضح كذب إدعائه وبطلانه ، ويبدو لنا كثرة المتخلفين في هذه الغزوة وكانت حجتهم واهية كما تذكر لنا الروايات ولا يكفيهم هذا بل كانوا يحرضون الناس على عدم التفير في هذه الغزوة بسبب الحر وشكاً منهم في الحق وارجافاً برسوله وهؤلاء لا يرجون ثواب الآخرة<sup>(7)</sup> ، كما في قوله تعالى : **فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُخَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرَّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْعَهُونَ<sup>(8)</sup>**

<sup>1</sup> (? ) سورة التوبية ، الآية : 79 .

<sup>\*</sup> (\*) ينظر سورة التوبية من الآية : 118-41 ; محمد مصطفى ، الفهرس الموضوعي ، ص 348-350 : ولاحظ أن ثلثي هذه الآيات تصف حال المنافقين وأقوالهم وأفعالهم إلا الآيات 41 ، 45 ، 72 ، 73 ، 89 ، 81 ، 117 ، 118 .

<sup>2</sup> (?) ابن قتيبة ، المعارف ، ص 149-150 : حيث أورد قائمة بأسماء المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك .

<sup>3</sup> (?) سورة التوبية ، الآية : 50 .

<sup>4</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/516 : الواقدي ، المعازي ، 3/992 .

<sup>5</sup> (?) سورة التوبية ، الآية : 49 .

<sup>6</sup> (?) الطبرى ، تفسير ، 148-10/149 .

<sup>7</sup> (?) ابن كثير ، تفسيره ، 375-2/377 .

**فَلَيَصْحَّكُوا فَلِيلًا وَلَيَنْكُوا كَثِيرًا حَرَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**

(١)

وأيضا من أقوال المنافقين ومنهم وديعة بن ثابت الذي قال : - ما لي أرى قراءنا هؤلاء أرغبنا بطوناً واخذتنا السنة وأجبتنا عند اللقاء<sup>(٢)</sup> فعلم رسول الله بما قالوا فجاءوا رسول الله معتذرين فانزل (٤) قوله فيهم : **وَلَيَنْكُوا كَثِيرًا حَرَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**

(٣)

وجاء المنافقون إلى النبي (٥) يستأذنوه من غير علة فأذن لهم ، وكانوا بضعة وثمانين ، وكانوا يظنون أن الرسول (٦) لن يرجع إليهم أبداً<sup>(٤)</sup> وقد اتهم هؤلاء بأن الرسول أذن أن يصدق كل مَا يقال له فإذا حلفنا له صدقنا<sup>(٥)</sup> ، كما في قوله تعالى : **وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ . . .** <sup>(٦)</sup> وقد سار هذه المرة أيضاً عبد الله بن أبي بن سلول مع الرسول في غزوة تبوك ، لكنه كرر فعله في غزوة أحد حيث انسحب هو والمنافقون ومعه حلفاء من اليهود<sup>(٧)</sup> ، ويدرك أن أصحاب مسجد الضرار جاؤوا رسول الله أثناء ذهابه إلى الغزو ليبارك لهم مسجدهم فاعتذر منهم حتى يرجع من غزوه ، وفي أثناء عودة النبي (٨) من تبوك تعرض لأخطر محاولات المنافقين استهدفت هذه المرة اغتياله في جنح الليل عن طريق مؤامرة اتسمت بالمكر والغدر ، وظنوا أن يقتلهم الرسول الكريم (٩) ينتهي الإسلام ، ولكن (١٠) كشف مؤامرة العقبة لرسوله الكريم ، وبروى أن النبي (١١) قال لحديفة أن الله أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم<sup>(٨)</sup> ، وفيهم نزل قوله تعالى : **يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَّارِ وَكَفَرُوا وَكَفَرُوا بِاللَّهِ مَمْلُوكُوهُمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا تَقْمِمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَصْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُونُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ**

<sup>١</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 82-81 .

<sup>٢</sup> (? ) الواقدي ، المغاربي ، 3/1003 .

<sup>٣</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 65 .

<sup>٤</sup> (? ) الواقدي ، المغاربي ، 3/995 ; المقربي ، أمتاع الأسماء ، 1/439 .

<sup>٥</sup> (? ) ابن كثير ، تفسيره ، 2/366 .

<sup>٦</sup> (? ) سورة التوبه ، من الآية 61 ، ينظر أيضاً سورة التوبه ، الآية : 65 .

<sup>6</sup> 66 تصف ذلك حتى إنهم لمزوا رسول الله (١٢) في الصدقات ، الآية :

. 58 .

<sup>7</sup> (? ) ابن سعد ، الطبقات ، 2/165 .

<sup>8</sup> (? ) الواقدي ، المغاربي ، 3/1043 ; المقربي ، أمتاع الأسماء ، 1/478 .

**عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ  
وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ<sup>(1)</sup>.**

ويسجل القرآن الكريم موقف مجموعة أخرى تختلف عن الرسول<sup>(2)</sup> وعن غزوة تبوك كما يصفهم القرآن خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً ولكن الروايات اختلفت في عددهم ولكنها اتفقت على انه أبو لبابة وأصحابه وثقوا أنفسهم بالسواري حتى يعفي عنهم الله ورسوله<sup>(2)</sup>.

كما في قوله تعالى : **وَآخَرُونَ اغْتَرُوا بِذُنُوبِهِمْ  
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ  
عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ  
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً  
ثُطَهِرُهُمْ وَتُرْكِيَّهُمْ بِهَا وَصَلِّ  
عَلَيْهِمْ . . .**<sup>(3)</sup>

وهناك فئة ثالثة تختلف عن رسول الله في هذه الغزوة ليس شكاً ولا نفاقاً ولم يعتذروا بحجة ولم يكذبوا على رسول الله وقد ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت وخاصة بعد مقاطعة الرسول والمسلمين لهم كما في قوله تعالى : **وَعَلَى التَّلَاثَةِ الَّذِينَ  
خُلِقُوا حَتَّى إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ . . .**<sup>(4)</sup>، وهم كعب بن مالك ومرارة بن آلربع وهلال بن أمية<sup>(5)</sup> ، ثم يسجل القرآن موقفاً مخالفًا لموقف هؤلاء جميعاً وهم المؤمنون الصادقون كما في قوله تعالى : **وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتُوكَ  
لِتَحْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَحُدُّ مَا أَخْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوْلُوا وَأَغْيِنُهُمْ  
تَفِيقُنُ مِنَ الدَّامِعِ حَرَنَا أَلَا يَحِدُّوا مَا يُنْفِقُونَ**<sup>(6)</sup> ، وعلى الرغم من هذه الظروف الصعبة استطاع الرسول<sup>(4)</sup> أن يجهز جيشاً يتالف من ثلاثين ألف ، وقد حقق هذا الجيش انتصارات باهرة بحيث أن سكان القرى والجماعات الأخرى المجاورة أعلنوا خصونهم للمسلمين فصالحوا المسلمين على الجزية<sup>(\*)</sup> ، مثل دومة الجندل وايلة وتيماء .

<sup>1</sup> (؟) سورة التوبه ، الآية : 74 ؛ ابن كثير ، تفسيره ، 2/356 .

<sup>2</sup> (؟) الطبرى ، تفسيره ، 15-11/14 .

<sup>3</sup> (؟) سورة التوبه ، من الآية : 103-102 .

<sup>4</sup> (؟) سورة التوبه ، من الآية : 118 .

<sup>5</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/531 .

<sup>6</sup> (؟) سورة التوبه ، الآية : 92 ؛ ابن حبيب ، المحبـر ، ص 281 . حيث اورد اسماء من اشار اليهم القرآن .

<sup>\*</sup> (\*) الجزية : وهي ضريبة مفروضة على رؤوس أهل البلاد المحررة الذين لم يدخلوا الإسلام ويبقوا على دينهم من أهل الذمة . ينظر: ياسين ، نجمان ، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، بيت الموصـل ، (الموصل-1988) ، ص 122 .

## نهاية الصراع وعام الوفود :-

ويذكر أن أول من وفد على رسول الله (ﷺ) وفد مزينة من مصر معلنين إسلامهم ، في سنة خمس للهجرة ، فقال لهم رسول الله (ﷺ) : **(أَنْتُمْ مَهَا جِرْوَنْ حَيْثُ كُنْتُمْ فَارْجِعُوْا إِلَى أَمْوَالِكُمْ فَرْجِعُوْا إِلَى بَلَادِهِمْ)**<sup>(1)</sup> ، إذن منذ ذلك الحين بدأ وفود العرب على رسول الله في المدينة ويذكر أيضاً أنه بعد فتح مكة ، وفراغ الرسول (ﷺ) من تبوك وأسلمت ثقيف<sup>(\*\*)</sup> وبأيوب .

وجاءت إليه وفود العرب من كل حدب وصوب في سنة تسع للهجرة ، وسمي هذا العام **عام الوفود**<sup>(2)</sup> ، ويذكر سبب تزايد قدوم هذه الوفود على المدينة إن العرب كانت تترقب أمر الصراع ما بين الرسول (ﷺ) وبين قريش لأن قريشاً إمام الناس وهاديهم وأصحاب بيت الله الحرام ، فلما فتحت مكة ودخلت قريش إلى الإسلام كسرت كل الحواجز والموانع لإسلام القبائل العربية ، وعرفت العرب أن لا طاقة لها بحرب رسول الله (ﷺ) ، فجاءوا أفواجاً أفواجاً معلنين إسلامهم<sup>(3)</sup> ، فكان قدومهم نصر الله ، والفتح وفتح مكة ، وبفضل الله ونعمته . كما في قوله تعالى : **إِذَا حَيَّءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَذْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفَرَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝**<sup>(4)</sup> .

لقد ساعد مجيء الوفود على تيسير انتشار الإسلام في جميع أنحاء الجزيرة العربية ولكن هناك أقلية لم تتصل بالمدينة ، وبقي من بين الرجال من القبائل أناس لم يدخلوا في الإسلام فيجب أن تحدد هذه الجماعات موقفها من الإسلام بعد أن أصبح ديناً ودولة فأعلن النبي (ﷺ) في نهاية العام التاسع للهجرة بياناً عرف (بيان براءة) وهو بوحي من الله<sup>(5)</sup> ، وكان انساب وقت لإعلان هذا البيان وأفضل وسائل دينية وإعلانية وهو موسم الحج حيث تجتمع العرب من كافة أنحاء الجزيرة العربية مسلمين وغير

<sup>1</sup> (؟) ابن سعد ، الطبقات ، 1/291 ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2/63 .

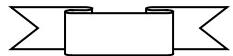
<sup>\*</sup> (\*\*) ويذكر أن رسول الله (ﷺ) دعا لهم : (اللهم اهد ثقيفاً) ، وعند مجئهم المدينة مسلمين ضرب لهم قبة في المسجد ؛ لمزيد من الإطلاع . ينظر: ابن شبة ، تاريخ المدينة ، 1/270-276 .

<sup>2</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 559/2 ؛ ابن شبة ، تاريخ المدينة ، 1/270 .

<sup>3</sup> (؟) ابن هشام ، السيرة ، ق 559/2 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 2/291 . 359-2 .

<sup>4</sup> (؟) سورة النصر ، الآية : 3-1 ؛ ابن هشام ، السيرة ، ق 560/2 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 2/291 . 359-2 .

<sup>5</sup> (؟) الطبرى ، تاريخ الطبرى ، 122/3 .



مسلمين في مكة وكان على موسم الحج لهذا العام أبو بكر الصديق (ﷺ) أميراً على رأس ثلاثة مسلم لأداء فريضة الحج ، وعند نزول الآيات في سورة براءة<sup>(\*)</sup> وبسبب انشغال الرسول باستقبال الوفود القادمة الى المدينة ، لا يستطيع أن يذهب إلى مكة لإعلانها قال (ﷺ): (لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي)<sup>(١)</sup> ، والعرف يقضي بأن يقوم بنبذ العهد صاحب العهد نفسه أو رجل من عصبه شديد القرابة به ، فأرسل علي بن أبي طالب (ﷺ) وطلب منه أن يلحق بأبي بكر الصديق (ﷺ) في مكة وقال له : (اخْرُجْ بِهَذِهِ الْقَصْةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةِ وَأَذْنِنَ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنْيٍ ، اهْ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ ، وَلَا يَحْجُّ الْعَامَ مُشْرِكٌ وَلَا يَطْوِفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ ، مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مَدْتِهِ)<sup>(٢)</sup> ، فخرج علي (ﷺ) فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي ابن أبي طالب فأذن بالناس بالذي أمره به رسول الله (ﷺ)<sup>(٣)</sup> ، فاعلن بيان براءة إن الله بريء من المشركين وانه لا عهود بينهم وبين الدولة الإسلامية ، وان الذين سبقت لهم عهود محدودة بأجل معلوم فلم ينقضوها شيئاً ولم يعينوا على المسلمين أحداً ، توفى إليهم عهودهم إلى مدهم ثم لا تحدد ، ثم جعل أجل المشركين أربعة أشهر ليتفكروا في وضعهم فأما يعلنوا إسلامهم وينظموا للدولة الجديد والا يعودون خارجين عليها متمندين على نظامها<sup>(٤)</sup> ، كما في قوله تعالى:

بَرَاءَةُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَغْلَمُوا أَنْكُمْ عَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ۝ وَأَذْانَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجَّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلِّتُمْ فَأَغْلَمُوا أَنْكُمْ عَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝

\* (\*) سورة براءة أو التوبية : الآية من 1-37 ; الشريف ، مكة والمدينة ، من 532-535 ، ويتألف الإعلان من سبع وثلاثين آية من سورة براءة .

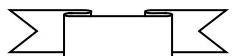
<sup>1</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/545 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 2/169 .

<sup>2</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/545 .

<sup>3</sup> (?) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/546 .

<sup>4</sup> (?) الطبرى ، تاريخ ، 122-3/122 .

<sup>5</sup> (?) سورة التوبية ، الآية : 3-1 .



ثم قوله تعالى : **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُضُوْكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُطَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَمْمَوْا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ فَإِذَا أَنْسَلَحَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا إِلَيْهِمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَأْتُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الرَّكَأَةَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ**<sup>(1)</sup>

وجاء في سورة براءة أيضًا سبب تحريره <sup>(2)</sup> دخول المشركين البيت الحرام : **إِنَّمَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ تَجْسُنُ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا . . .**<sup>(2)</sup>

وهو أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف أحد بالبيت عريان ، كما اعتاد بعض منهم في الجاهلية<sup>(3)</sup>.

أما الوفود التي قدمت على الرسول <sup>(4)</sup> من القبائل العربية التي جاءت لتعلن إسلامها فكثيرة منهم وفد تميم وفيه من أشرافهم منهم الأقرع بن حابس التميمي ، فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله <sup>(5)</sup> من وراء حجرات أزواجه أن اخرج إلينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله <sup>(6)</sup> فعاتبهم <sup>(7)</sup> قائلاً : **إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لِيَغْصِنَ أَنْ تَخْبِطَ أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**<sup>(4)</sup>

أي لا تجهروا له بالقول لو تنادوه كما ينادي بعضكم بعضاً<sup>(5)</sup> ، ووصفهم بقوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**<sup>(6)</sup>

وفي ذلك أعطى الإسلام للبدو (**الأعراب**) الذين عرفوا بخشونتهم دروساً تربوية في مخاطبة ذوي الشأن بخفض الصوت وإظهار الاحترام خصوصاً وان الرسول <sup>(7)</sup> لم يكن رجلاً كسائر الناس وقد اعتاد المسلمون على مخاطبته بكل إجلال واحترام . وأيضاً من الوفود التي قدمت المدينة ، وفود أسد وفرازة ومرة وثعلبة وكلاب وقشير والبكاء وكناة وبهراء ، ووفود أخرى دون تحديد تاريخ قدومها هي : وفد محارب وعبس وهلال وعامر

<sup>1</sup> (? ) سورة التوبه ، الآية : 5-4 .

<sup>2</sup> (? ) سورة التوبه ، من الآية : 28 .

<sup>3</sup> (? ) ابن هشام ، السيرة ، ق 2/547 .

<sup>4</sup> (? ) سورة الحجرات ، الآية : 2 .

<sup>5</sup> (? ) الطبرى ، تفسيره ، الآية : 26/118 .

<sup>6</sup> (? ) سورة الحجرات ، الآية : 4 .

بن صعصعة ، وجده وباهله ، وطيء وجذام وحنيفة وبكر بن وائل وتغلب<sup>(1)</sup> ، ويذكر اليعقوبي<sup>(2)</sup> : **(ولكل قبيلة رئيس يتقدمهم)** .

وكانت هذه القبائل تأتي معلنة إسلامها ولكن بعض الوفود عقدت معاهدات لغرض الحصول على الحماية كما فعل وفد نصارى نجران مقابل أداء مبلغ من المال إلى المسلمين<sup>(3)</sup> ، ولكن بعض الوفود رجعت ولم تسلم كما يذكر اليعقوبي<sup>(4)</sup> ، مثل وفد عامر حيث رجع عامر بن الطفيلي ولم يسلم لأنه لم يحصل على المكاسب السياسية التي رغب فيها وكذلك مفاوضات وفد ثقيف التي انتهت بإسلامهم<sup>(5)</sup> .

إذن ليس غرض كل الوفود الإسلام وإنما بعضها اسلم لدافع سياسية وهذا ما يوضح سبب ردة القبائل العربية على الإسلام بعد وفاة الرسول (ﷺ) .

لقد حقق النبي في السنة الأخيرة من حياته وحدة الجزيرة العربية وبذلك تمت معجزة أجيال في نحو عقد واحد من الزمن ، فالآمة التي كانت منقسمة على نفسها بالعصبية تغزو بعضها البعض ويشار الأخ فيها من أخيه أصبحت بفضل الإسلام وبحكمة النبي (ﷺ) أمة واحدة ودولة واحدة<sup>(6)</sup> .

إذ لم يذكر التاريخ أن شيخاً من رؤساء القبائل أو ملكاً من ملوك الدول استطاع أو جرب أن يوحد القبائل تحت راية ملك أو وطن أو دين في كل تاريخ العرب من أقدم أزمانه إلى مبعث الرسول (ﷺ) فهو الذي استطاع أن يرّؤض القبائل على اعتبار قرابة الدين بدلاً من قرابة الدم ، ونجاهه (ﷺ) في هذه الناحية لا يقل في أهميته ولا في أثره عن نجاهه في تحويل العرب عن عبادة الأصنام إلى عبادة الله ، فرسالته لم تقتصر على نشر دين جديد ، بل شملت أيضاً إنشاء نظام جديد ، ودولة جديدة على أساس ذلك الدين<sup>(7)</sup> .

<sup>1</sup> -<sup>1</sup> ابن هشام ، السيرة ، ق 599-2/559 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 291-

356

<sup>2</sup> -<sup>2</sup> تاريخ اليعقوبي ، 1/13 .

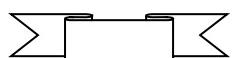
<sup>3</sup> -<sup>3</sup> ابن سعد ، الطبقات ، 357-1/358 .

<sup>4</sup> -<sup>4</sup> تاريخ اليعقوبي ، 1/63 .

<sup>5</sup> -<sup>5</sup> المصدر نفسه ، 1/63 .

<sup>6</sup> -<sup>6</sup> عبد اللطيف الطيباوي ، محاضرات ، ص 17 .

<sup>7</sup> -<sup>7</sup> عبد اللطيف الطيباوي ، محاضرات ، ص 12-13 .



وإذا كان محمد (ﷺ) بحاجة إلى معجزات غير المعجزات  
المعروفة عنه تقوم دليلاً على عظمته وعصريته فتوفيقه في توحيد  
العرب هو من معجزاته الكبرى<sup>(8)</sup>.

---

<sup>8</sup>) المصدر نفسه ، ص 17 .

